الدعوة إلى الحب



عباس السيسي

الجزء الثالث

الدعوة إلى الله حب

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

دار التوزيع والنشر الإسلامية

٨ ميدان السيدة زينب ت: ٣٩١١٩٦١ - ٣٩٠٠٥٧٢ ص ب ١٦٣٦



الجزء الثالث

عباس السيسى

بسم الله الرحمن الرحيم

الشيخ المجاهد سعيد حوى

فى ذمة الله

تمنيت أن يكتب فضيلة الأستاذ الشيخ سعيد حوى مقدمة الجزء الثالث من رسالة « الدعوة إلى الله حب » كما سبق له أن توَّج الرسالة الأولي والثانية بمقدمته الكريمة التى أضفت على الرسالتين روحًا وريحانًا، وأفسحت الطريق إلى قلوب الآلاف من شباب الصحوة الإسلامية فى كل الأرجاء والذين كأنهم كانوا معها على ميعاد. فأشرقت بها نفوسهم وتفتحت بها أزاهير عواطفهم النبيلة ففاح عطرها وشذاها فجذب القلوب وأجج المشاعر.

ولكن فضيلة الشيخ سعيد حوى قد وافاه الأجل فى مدينة عمان بالأردن فى يوم أول شعبان ١٤٠٩ - الموافق ١٩ من مارس ١٩٨٩ عن ٥٥ عامًا من عمره المبارك، قضاها منذ نشأته فى مدينة حماه فى أحضان الدعوة الإسلامية، التى جذبه إليها العالم الجليل الشيخ محمد الحامد (عليه رحمة الله) والذى لازم الشهيد حسن البنا فى المركز العام للإخوان المسلمون بالقاهرة حين كان يتم دراسته العالية

بالجامع الأزهر حتى نهاية عام ١٩٣٩ .

إذ كان الشيخ محمد الحامد يدرس التربية الإسلامية فى الثانوية. فانضم الشيخ سعيد عندما كان طالبًا فى الصف الأول الثانوى إلى حلقته العلمية الشهيرة التى كان يلقيها فى جامع السلطان. وكان الشيخ محمد الحامد يذكر أن شعب مدينة حماه فى طليعة المجاهدين ضد المستعمر الفرنسى وضد الأنظمة الظالمة ولا يفوته أن يرد على كل من يعادى الإسلام وكان لا يخشى فى الله لومة لائم.

وأشرقت الدعوة فى قلب الشيخ سعيد بعد أن عرف غاية الدعوة وأهدافها وقال رحمه الله فى ذلك: (كان انقلابا فى حياتى ونوعًا من العثور على الأنا الجماعى والعثور على نفسى) وقال: (كيف يعيش الناس دون هدف كبير يسعون لتحقيقه وكيف ينصرفون عما يورث الأمجاد) .

وشارك الشيخ سعيد فى الحركة الإسلامية وقاد المظاهرات ضد إعدام قادة الإخوان المسلمون فى مصر عام ١٩٥٤ - كما شارك فى ثورة حماه عام ١٩٦٤ حين فكر بعض وزراء سوريا فى إلغاء الأوقاف وإلغاء تدريس مادة التربية الإسلامية فى سوريا. واستمر الإضراب فى مدينة حماه ٢٩ يومًا وقد شارك فى هذه الحركة الشهيد مروان حديد الذى اعتصم ورفاقه فى مسجد السلطان الذى قصفته

السلطة فهدمت مئذنته وبعض قبابه ودافع المحاصرون حتى نفدت الذخيرة فاقتحمت السلطة المسجد .

وحين قامت السلطة بالتضييق على الشيخ سعيد ورفاقه هاجر إلى السعودية من ١٩٦٦ إلى ١٩٧١ . ولما مرض الشيخ سعيد (بالسكرى) عاد إلى حماه بعد أن قطع وقته فى السعودية فى تأليف (جند الله ثقافة وأخلاقا) وكتاب (جند الله تخطيطًا وتنظيمًا وتنفيذًا) .

وفى عام ١٩٧٣ بدأ الصراع حول الدستور. وأصر الإخوان أن يكون (دين الدولة الإسلام) وعلى أثر مصادمات عنيفة وإصدار بيان العلماء ضد الدستور. تم القبض على عدد من علماء سوريا على رأسهم الشيخ سعيد وقد مورس ضدهم التعذيب البدنى والحبس الانفرادى داخل سجن المزة . وحين أصدر الأسد عفوا عن الشيخ سعيد عام ١٩٧٨ ، انضم فى الحال إلى الجهاد المسلح ضد نظام الأسد . الذى مارس ضد الإخوان أبشع أنواع الاضطهاد . حتى كانت مذبحة (حماه) التى دوت فى أسماع الدنيا وتجاوزت ما فعله نيرون فى إيطاليا . وختم المجاهد سعيد حوى حياته فى ساحة الدفاع عن الإسلام بالكلمة والسنان . تغمده الله بواسع رحمته وأدخله فسيح جناته .

المقدمة

حين بدأت أكتب « الدعوة إلى الله حب » كنت أتعامل بها كتابة ولم أتعامل بها كتبا. كنت أتهيب أن تخرج هذه المعانى على عامة الناس باعتبارها تياراً جديداً فى عالم تعود على نوع من الحب المكشوف الذى عبأ كل الأجواء بريح صرصر عاتية من عواطف الحب الآثمة المدمرة التى تفشت فى الشارع الإسلامى فى النصف الأخير من القرن العشرين.

ومنذ أن صدرت رسالة الدعوة إلى الله حب وأنا أعيش فى مشغلة نفسية عميقة حول المعانى التى برزت وتوهجت فى قلوب أبناء الدعوة الإسلامية إذ كشفت « الدعوة إلى الله حب » عن طاقات وكنوز روحية هائلة من عواطف الحب الطهور المطمور فى أعماق الضمائر وخفايا النفوس المؤمنة. قد حجبها عن الظهور « الاستحياء » مما طغى واستعلن وشاع « من الحب الجاهلى » الذى استنفر عواطف الشباب والشابات إلى السفور وساحات الاختلاط التى أُستجلب لها المغنون والمغنيات وسخرت لها السينما والمسرح والفيديو

والتليفزيون. هكذا أدرك أعداء الإسلام خطورة عواطف الحب الإسلامى فانحرفوا بها فى مسارب الشياطين وأحلام العصافير وصرفوا العواطف وشتتوها فى دروب كثيرة من الشهوات. فاستهلكوا عواطف الشباب والشابات فى حانات الخمور وإدمان المخدرات، ليقتلوا عوامل الرجولة والقوة والإنتاج، وليسلموا هذا الشعب إلى فقدان الذاتية والحرية.

واستيقظ شباب الأمة الإسلامية وشاباتها على (الحب فى الله) الذى هو الأصل الطاهر النظيف العفيف. وكشفت الغطاء عن هذا المخطط الخبيث الذى يعمل على تدنيس الحب وإفساد الأخلاق وإظلام القلوب وإطفاء نور الإيمان ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً﴾ [البقرة: ١٠٩].

وشاء الله تعالى أن تتفجر ينابيع الحب فى الله تعالى من قلوب عامرة بالإيمان مدركة لسمو الغاية ونبل المقصد. وطوى هذا الحب الشريف مساحات هائلة من قلوب الإخوة والأخوات فى كل أقطار العالم الإسلامى. وفقه المسلمون أن الحب فى الله ليس متعة شخصية بل هو متعة جماعية وترغيب فى شمولية الحب لكل الإخوة على وجه الأرض. فهو سياسة إسلامية فطرية. حتى إذا تحاب المسلمون

بروح الله تعاونوا وتآلفوا وتوحدوا عقائديا وروحيا وثقافيا واقتصاديا.

فإذا توحدت الأمة وجاء نصر الله والفتح، التحمت جماهير الأمة الإسلامية الواحدة فى عناق واشتياق، وحب وإيثار، كما حدث بين المهاجرين والأنصار ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ١٠] فجذبوا القلوب إلى الدعوة بالحب.. إن الجهاد بالحب فى الله هو الفرصة المتاحة والسياسة المباحة التى لا تعوقها حدود أو يصادرها قانون؛ لأنها نبض وهواتف ومشاعر وأحاسيس والحب فى الله تعالى هو السبيل الذى ليس له نظير ولا مثيل ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣].

والجزء الثالث من رسائل الدعوة إلى الله حب يختلف عن الجزءين الأول والثانى، إذ كانا عبارة عن مقتطفات من مجموعة رسائل اختارها الشيخ سعيد حوى رحمه الله تعالى. أما الجزء الثالث فقد اخترت له عدة رسائل رأيت أن أسجلها كاملة. وخاصة تلك التى وردت إلىَّ. وحرصت على أن تكون كما هى بعباراتها

وأسلوبها كى تعطى صورة صادقة عن الأخ ثقافته وفهمه، زمانه ومكانه . ويعتبر هذا تعريفا بكل منهم حتى يتعامل القارئ الكريم معهم بموازين ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

[البقرة : ٢١٣] .

* * *

الشهيد

هاني أحمد رشيد

ولد على أرض فلسطين المباركة فى بلدة عتيل من قرى طولكرم. وهاجر مع أسرته إلى دولة الكويت المضيافة وسافر إلى باكستان طالبا بالجامعة الإسلامية فى إسلام أباد واستشهد على أرض أفغانستان المجاهدة باعتبار أن وطن المسلم عقيدته.

عرفته فى الكويت فى الثامنة عشرة من عمره وهو فى الثانوية العامة شابا فى ريعان الصبا والشباب مشرق الوجه وضاح الثنايا. سمته الصمت ولباسه الحياء. كثر جلوسه معنا فلم أسمع له صوتا ولم يستفزه حديث. اقتربت منه ليقترب منى، صارحنى أنه يخجل من الحديث معى. وعدنى بأن يخاطبنى فى رسالة، وجاءتنى رسالته متوهجة مشرقة. فأدركت أن صمته كان فى الاستغراق والاستيعاب. وأنه كان لا يتحدث حتى لا يقطع روافد الفهم والتذوق.. وأعاد فى سطور رسالته بعض ما استوعبه من معان فى فقه الدعوة. وذكر ما استبد بقلبه من حب عميق لأبنائها وما طرأ

عليه من تغيير جديد فى الأخلاق والسلوك، واهتمام بالغ بأمر الإسلام حاضره ومستقبله. لا زلت أعيش مع كلمات رسائله التى سبق أن سجلت بعض كلماتها فى رسائل الدعوة إلى الله حب. وأسجل هنا آخر كلماته فى آخر رسالة.. حيث يقول: «إننى يا حبيبى عباس أريد أن أعبر لك عن مدى حبى لك ولكن لا استطيع أن أعبر عما فى نفسى مهما قلت.. أحب أن أصارحك بكل شيء وأعرض عليك ما يدور فى ذهنى وأشكو أحيانا لأننى اعتبرك.. أبى وأمى وأخى».. وبعد ست سنوات قضاها مجاهداً فى سبيل الله على جبال وفى وديان أفغانستان.. وفى «قندهار» الرعب انضم الأخ هانى «أبو زهير» إلى إخوانه الذين استقروا فى مركز للشيوعيين بعد فتحه وذلك تمهيداً للمركز الذى يليه، ولم يبق أبو زهير مدة طويلة فيها ففى يوم الأربعاء السادس من ذى الحجة ١٤٠٨ بينما كان الأخ هانى يصلى الظهر بجوار أخ أفغانى جاءهما رسول الشهادة يمتطى قذيفة دبابة وحطت القذيفة بجوار أبى زهير وهو فى صلاته ويرحل هانى شهيداً فى سبيل الله.

رحمك الله يا هانى كم أسعدتنا وأتعبتنا، وكم مثلك من الشباب الطاهر يغلف عواطفه ومشاعره بالصمت.. ولو تجاوبت القلوب وتنادت الأرواح بهواتف الحب فى الله، لاندمجت القلوب

وتعانقت الأرواح، وبنى للإسلام صرح يشرق على الدنيا بنور الإيمان والقرآن.

ولن يعود للإسلام سالف مجده إلا بالجهاد والبذل والعطاء والفداء.

الرسالة الأولى

أخي وابني الحبيب

للخطاب فرحة عند تلقيه وعند قراءته والانفراد به، وعند تملى معانيه ثم عند كتابة الرد. وخطابك اللطيف أعطانى فرصة أوسع وأرحب كى انفتح على قلبك الحبيب. إذ أن خطابى الأول لك كان على استحياء ورفق وإيجاز. لأنه هكذا تكون الخطوة الأولى. وعلى قدر الاستجابة تكون الإجابة. وقد لمست وآنست من كلماتك أنك لست جديداً فى ساحة الحب ولا فريداً فى نبض القلوب. فالنبع صاف والفهم عميق والخط جميل. كنت أخشى أن يطول بى الانتظار لرسالتك، فقد أرسلت عدة رسائل مشحونة بعواطف الحب لبعض من أحبهم فلم يستجيبوا لنداء قلبى استجابة الرد ولا أقول استجابة الرفض، هذه العادة فى تصرف بعض الإخوة تكون لعدم قدرتهم على كتابة الرد بمستوى مناسب عاقهم عن الوفاء بالرد واللواذ بالصمت الذى يحتاج إلى تأويل وبسلوكهم هذا ينقطع التيار ويتوقف المدد والمداد أيضاً. فالكتابة تولد الكتابة، فلولا رسالتك هذه ما وجدت من المعانى ما يبعث النشاط والانتعاش.

فالكتابة عن الحب الثابت الذى لا يتحرك ولا يتجدد دواما، لا تشعر معه بالحياة. والكاتب فى مثل هذه الحالة سوف يكرر نفسه.. حيث لا يجد جديداً يحرك مشاعره وعواطفه، فكأنك تنظر فى عشر مرايا حولك فى لحظة واحدة. فالكتابة المتجددة تبعث النشاط وتستنهض المعانى فالإنسان لابد أن يجدد ذاته ونشاطه وعلاقاته كما يجدد رباط عنقه.

* * *

الرسالة الثانية

يا أبتاه.. لقد بهرني موضوع كتابك (الدعوة إلى الله حب) فكان رسالة لى أنه لابد من أن أدعو إلى الله بحب.

لقد أحببتك يا أبتاه حبا جديداً.. لقد قضيت معك وراء أسوار الظالمين تسع سنين، ولكنى اليوم بعد كتابك هذا فكأنى لم أقض معك يوما بل ساعة، أين كنت منك خلال هذه السنين التسع؟ لست أدرى!

لقد عرفتك وأنا ابن أربع وعشرين سنة. واليوم أنا ابن سبع وأربعين أعرفك جيداً.. ويبدو أن الله تعالى سيجعلك جديداً دائماً.. وحالك يا أبتى تنبىء عن أنه كلما كبرت سنك كبر وعظم قلبك. فهنيئًا لك هذا القلب الكبير، القلب الكبير الذى أحب كل من رأى ومن سمع.

موضوع كتابك جعلنى أفكر كثيراً.. لقد شغلت نفسى بأن الدعوة إلى الله تكون بأسلوبين رئيسيين: أسلوب الفقه.. وأسلوب منطق العقل، فكنت أقول إن من فقه واتسع فقهه أو عقل وأنصف

لا محالة أن ذلك يسلمه إلى الانحراط فى دعوة الإخوان المسلمين أو مثلها إن كان شغوفا حقا مهموماً بالعمل على إعادة الإسلام إلى نفوس المسلمين.

وأيقنت أن من الحب فى الله ما هو ركن من أركان الدين يضعف دين المرء بفقده. ومنه ما هو فريضة ومنه ما هو دون ذلك. ولكن الذى دون ذلك هذا.. هو بين الإخوان المسلمون عزيمة إن تخلوا عنها ضاعوا. ومع ذلك كنت أرى أن العامل المؤثر القوى وحده هو أسلوب « الفقه ومنطق العقل » - على جفافهما - عند طرح دعوة الإخوان المسلمون بين الناس، وبين بعض الإخوان المسلمون أنفسهم.. ووجدت أن لذلك اعتباره الذى لا ينكر.

ولكنى بعد اطلاعى على موضوع (الدعوة إلى الله حب) تبين لى أنه طريق فيه قوة التأثير. بل له من قوة التأثير مالا يملكه أسلوب الفقه ومنطق العقل.. فكم من مشكلات فقهية وشبهات حول الطريق وحيرة وتوقف فى البت فى الصواب والخطأ.. كم من مثيل ذلك يتوقف أمامها منطق العقل أو أسلوب الفقه. ولكنها تخضع وتتهاوى إذا جاءها الداعية والمدعو بسلاح الحب فى الله تعالى. وهو سلاح تحت ظلاله جنة القلوب والعقول وطمأنينة النفوس وسعادتها، ولا مراء أن هناك فرقًا بين تلقى الدعوة من أفواه القلوب

العامرة بحبها وتلقى الدعوة من الكتب . لذلك حرص الظالمون على الحيلولة بين شخص الداعية (الكيان الشاعر) وشخص المدعو ولم يحرصوا ذلك الحرص على الحيلولة بين الكتاب وشخص المدعو فليس للكتاب كيان شاعر.

روى ابن سعد : أن أحد الصحابة رضى الله عنهم « ذهب بصره » حزنا على وفاة النبى ﷺ . . فجاء أصحابه يعودونه فقال لهم : إنما كنت أريدهما لأنظر بهما إلى رسول الله ﷺ . فكم من عامل فى هذه الجماعة جُذب إليها بحب القلوب الصادقة فأقام بين أحضانها وشمر وجد ووقف حياته على إبلاغ هذه الدعوة للظامئين وأنار سبيل الحياة للحائرين فأنتج وأثمر وضم إلى الصف رجالاً وشبابًا هم معالم نور ومشاعل هداية .

وكان حبهم البصير العميق لدعوتهم ولبعضهم بعضا هو القوة التى جعلتهم لا يقيمون وزنا لخلاف فقهى أو شبهة . . فكل ذلك هبط إلى الدرجة الدنيا من التأثير.

وكم من عامل فى هذه الجماعة جذبه إليها أسلوب فقه أو حصافة عقل ولم يقم لحجة مشاعر القلوب كركن ركين فى بناء هذه الدعوة . فإذا به يتلكأ عند كل شبهة ويتوقف عن العمل أو ينصرف

عند ظهور إشكالات لا يجد عند أسلوب الفقه الجاف جوابها، فإما يفتن أو يتأخر، وإما ينكر أو ينفر.. ورضاه يكفيه أن واحداً لم يخرج من الجماعة!

ونسى أنه مطالب أن يدخل الأرض بأسرها تحت لوائها.

* * *

الـــرد

أخي الحبيب

كانت رسالتك الكريمة، مفاجأة سارة، لم تكن لها سابقة من قبل، قرأتها فى نشوة تختلف عن شعورى مع غيرها، جلست أستمتع بكل كلمة نطق بها قلبك واشتعل بها فؤادك وتحرك بها وجدانك، وأدركت قبل أن أتمها، أن يقظة في الوجدان والمشاعر قد تفجرت فى كينونتك، أدركت ذلك من صداها فى نفسى حيث أنى انتفضت متهللا مسرورا. أريد أن يحس ويقرأ هذا الشعور وتلك السطور كل الإخوة الذين كانوا معى وقتئذٍ، لولا أن فى الرسالة إشارة إلى نفسى منعتنى من ذلك، تابعت السطور وغير المنظور فتكشفت لى أسرار الحب في الله تعالى. فالحب فى الله يسبح بالإنسان فى ملأ لا حدود له، إن هذا الحب نور وشعور وزهور. عجبت أيها الحبيب كيف تفجرت هذه المعانى متدفقة بهذا السياق الرقيق، كيف كانت هذه المعانى كامنة ثم اشتعلت واندلعت فكانت هذه الأنشودة الحية الوفية.

إن توجهات الداعية إلى القلوب تكون ببواعث أحاسيس

وعواطف مبهرة مثقفة، تشع بالنور والهداية والرحمة، وتلك أخص خصائص الداعية وألمع مواهبه ووسائله إلى القلوب.. ثم تخضع بعد ذلك الجوارح بتوفيق من الله تعالى ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

الرسالة الثالثة

أخي الحبيب :

لا تزال كلمتك الرقيقة [إني أحبك في الله تعالى] ترن في أذني وتدق على قلبي، لا تزال بروحها السمحة وعطرها الفواح وأريجها المنعش تعطر أجواء النفس وتريح القلب وتلهب أشواق الروح. إنها كلمات قلتها ولا تدري عمقها وسحرها. لقد تركت أثراً يدوي في أعماقي ويزيد لك من حبي وأشواقي، لقد شغفتني وشغلتني ولا قدرة للوفاء بحق شعورك الفياض وعاطفتك النبيلة.

لقد كان اللقاء الطيب واحة ظليلة ومرفأ لكل من يعاني أو يقاسي. فحين توجهت إلى هذا الحفل المبارك لم يكن في خاطري أن أتعرف عليك. ففي هذا الجمع الجامع كيف أصطفيك وما سعيت أقصدك أو أهدف إليك. ولكنك جئت إليّ بقلب يحملك وعاطفة تدلني عليك، فما هي إلا لمحة عين حتى ألهمت حبك ورزقت قلبك. وما زاد حديثي معك عن كلمات معدودة، وتركت في قلبي بعد ذلك أحاديث كثيرة يعجز لساني وبياني عن سردها.

الحب نور يظل الظلم يرهبه ... وما سوى الحب قهار ومنتصر

* * *

الرسالة الرابعة

إننى يا والدى.. فتاة لا يتجاوز عمرها الثامنة عشرة. فرت هاربة مع أهلها من الوطن الحبيب سوريا، أمام طغيان أسد الجارف منذ أحداث عام ١٩٦٧ طموحة أنا متأملة أن تناطح آمالى أعنان السماء. ولكن أملى هو الله وطموحى هى الآخرة وأمنية أمانى الشهادة في سبيل الله. تلك التى أتمناها فى كل صباح وأصيل مع مطلع الشمس وغروبها. ولكنى رغم ذلك لا أجد نفسى أهلاً لها ولا ما أديته لربى أستحق عليه أن يتوج جبينى بهذا الإكليل الخالد.

لقد نويت أن أكتب هذه الكلمات بعد قراءتى لرسالتك التى وجهتها إلى الشباب المسلم بعنوان «الدعوة إلى الله حب» بجزئيه. فوصلتنى رسالتك التى كنت أنتظرها وحركت فى نفسى مشاعر قد كانت كامنة وهيجت في نفسى ثورة أحاول جاهدة منعها من الهيجان.. لأنى لا أجنى من وراء ثورتها وزلزلتها سوى دموع سخية لا تضن بها مقلتاى على آمال وهمية وأحلام خيالية تراود ذهنى المتفتح على عالم ملىء بالوحوش، وهو أشبه الآن بغابة كبيرة،

القوى فيها يأكل الضعيف. والضعيف يركن وينطوى ويستظل بظل القوى.

أبى الغالى: ما قدمت لرسالتى الأولى التى أخطها فى حياتى لمن أشعر نحوه بعاطفة الأبوة بمزيج من الحب فى الله. والذى ألتمس من ورائه تمهيداً لطريق الجهاد وقوة على طريق الدعوة وزاد أتقوى به فى تكملة المسيرة أثناء رحلتى إلى الله تعالى.

والدى: أرجو من الله تعالى ألا تعدُ عيناك عن رسالتى لأننى فتاة فما أنا بالتى جعلت نفسها أنثى بل الله تعالى هو الذى أراد ذلك ولكن من حولى لا يزال يظهر فضل الذكر على الأنثى، ولولا تذكيرى لنفسى دوما بوجوب الخضوع والاستسلام لأمر الله.

أبى.. أنا لا أريد أن أتكلم بهذا الصدد فى رسالتى هذه.. وإنما يشغلنى حقيقة ويعلق ببالى دوما هو الحال التى آل إليها إخوانى المسلمون فى عصرنا الحاضر فأراضى المسلمين تغتصب وإخوانى المضطهدون فى سجون العالم، يستغيثون بالأحرار منا ذوى الشهامة والمروءة ذوى العقيدة والحمية، ولكنهم للأسف لا يسمعون سوى صدى كلماتهم تتردد فى جنبات السجون

* * *

الـــــرد

أختى الكريمة

لقد استقبلت رسالتك بشعور خاص وعاطفة جياشة، لقد استقبلت رسالتك بقوة شعورك النبيل الذى تأثرت به كثيراً وشحنت به قلبى وتألقت به روحى، قرأت كلماتك التى دلتنى عليك وعرفتنى بك من قريب، بقلمك وروحك ومشاعرك، فلما يستطيع ذلك إلا قليل من الإخوة والأخوات فإن الكتابة قدرة والتعبير موهبة والعاطفة روح وكل هذا من فضل الله تعالى فإذا كان عمرك المبارك فى الحدود التى ذكرت فهو أمر يزيد فى نفسى من قدر شعورك وشخصك الكريم.

لقد قرأت سطور رسالتك وكأنى معك فى شعورك وتصوراتك بل كذلك آمالك وطموحاتك فى رضاء الله والشهادة فى سبيله، واسأل الله تعالى أن يحقق لك تلك الآمال وأن يتوج جبينك بإكليل الشهادة.

وتأثرت كثيراً لقولك: (أرجو من الله ألا تعدُ عيناك عن رسالتى لأننى فتاة، فما أنا بالتى جعلت نفسها أنثى بل الله تعالى أراد لى ذلك).

رجاء أن تباعدى بينك وبين هذا الشعور . . فإن هذا الدين قد وضع لنا شريعة تحدد منهجًا للحياة الإنسانية ورسم لنا طريق التعامل فى هذه الدنيا تجعل بين الذكر والأنثى درجة تهبط وترتفع بعوامل وظروف الحياة ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٢٨] .

ولكننا للأسف الشديد قد تجاوزناها، بل فهمنا غير ما قصدت إليه وانحرفنا إلى عادات وتقاليد نقلناها عن غير المسلمين بل عن أعداء الإسلام .

ثم أقول لك . . إن الدعوة إلى الله تعالى تحتاج إلى أمثالك ممن وهبهم الله الفهم الدقيق والحماسة المرتبطة بمنهج واضح وخطوات مرسومة، وأن المحيط الذى تعلمين فيه هو محيط خصب لا تنقطع موارده، وأسلوب العمل فى هذا المحيط فى حاجة إلى عاطفتك الريانة ومشاعرك الحية النابضة بالإيمان . فإن الكلمة الطيبة لا تفنى والحركة معها لا تتوقف بل تظل تشق طريقها وتنتقل من مكان إلى آخر تؤثر وتبنى وتشيد وتؤتى أكلها ولو بعد حين .

«لو أن القيامة قد قامت وكانت فى يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن يغرسها فليغرسها فإن له بها أجراً» صدق رسول الله ﷺ .

* * *

الرسالة الخامسة

أخي الحبيب :

لقد كنت أشعر بعاطفة جارفة ومشاعر متوقدة فلا استطيع أن ينطق بها لسانى، حتى فهمت وآمنت بهذه الدعوة فأدركت أنها لا تصطدم بفطرة الإنسان ولا تقتل فيه عواطفه بل هى تحييها وتزكيها وتعطيها صورة الحلال المباح فتكون الحب فى الله الذى بروحه تراصت جيوش الإسلام على قلب رجل واحد يتدافعون للتضحية ويتسابقون للفداء ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف : ٤].

كثيراً ما تألقت فى معانيك السامية مما أفضت به على حياتى سعادة وانشراحًا. كم حدث هذا فى صمت دونما تعبير، ذلك لأن القلوب قد بلغت من الوعى والإحساس درجة فاقت الخيال وتسامت حتى صارت من الشفافية ما يتراءى لها عمق الحقيقة ولطائف الروح.

لا أدرى سوى أن هذه النعمة لا تقدر بأى قيمة مادية على وجه الأرض، لقد أدركت أن الإفصاح عما فى قلبى كما أستوعبه سوف

لا يبقى لى بعده ما أدخره من هواتف قلبى وحفيف روحى، فكنت أعتمد مع من أحب على الإيماء أو الإرسال وواقع الحال من مظاهر موحية.

دلائل الحب لا تخفى على أحد

كحامل المسك لا يخلو من العبق

لقد أدركت من خلال كلماتك المكتوبة مبلغ عواطفك الحية الندية. إن النفس التى بين جنبيك عالم كبير. فليس الذى تسمعه والذى تقرأه والذى تشاهده هو كل الحقيقة فالحقيقة، الصادقة علمها عند ربى ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]

* * *

الرسالة السادسة

أخي الحبيب :

أنت في رسالتك هذه أتعبتني جداً.. جعلتني أبحث عنك كي أروى ظمأ قلبى وأرد نفسى إلى نفسى.. كلماتك مشحونة بالعاطفة وهى سر من أسرار حياة القلوب. فأنت أيها الكائن المجهول تعيش فى عذاب، وأى عذاب أشد من حبيب تحبه ولا يدرى أنك تحبه تقترب منه ويبتعد هو لأن جهاز الاستقبال عنده معطل أو فاقد الإحساس. والمعاناة فى هذا الحب قاسية، فليس لها إلا أن تبوح «**إذا أحب أحدكم أحداً فليخبره**» حديث.

كى تستريح، فليس لمثل ذلك إلا ذلك. فضياع الوقت يقتل العاطفة ويزيد من تفتت الشعور. فالحب دائماً يسكن الأعماق ولابد له من غواص ماهر يتحسس السبيل برفق وصبر، حتى لا يخطىء الوسيلة ولا يرقى فى غير هدف ولا يصطدم بالمجهول من الأخلاق والعادات، فالتوجه إلى الحب فى الله له مقدمات وله أساليب وله خطوات، فالله تعالى يقول ﴿**وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ**﴾ [البقرة: ١٦٨] فمن باب أولى أن يكون الوصول إلى القلوب له خطوات.

ولا تظن أنك الوحيد الذى يقاسى هذا الشعور. فكثير من الشباب يحرق شوقًا إلى إخوانه، ولكنه لا يجد الإيجابية فتعيش عاطفته مقهورة داخل النفس حتى تجد «داعية دعوة» وليس داعية أشخاص بعينهم. داعية يؤمن بأن كل إنسان من كل الناس مطلوب ومأمول، فأنت لا تدرى فى أى الناس يكون الخير والإنقاذ. فلا تحبس الدعوة عمن لا ترضاه ولا تهواه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝١ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ﴾ [عبس: ١-٣].. فإذا عجزت عن الشعور المتبادل بالإحجام والوجوم.. فإنى أذكرك بقول الشاعر:

إذا المرء لا يلقاك إلا تكلفا

فدعه ولا تكثر عليه التأسفا

ففى الناس أبدال وفى الترك راحة

وفى القلب صبر عن حَبيبٍ إذا جفا

إذا لم يكن صفو الوداد طبيعة

فلا خير فى ود يجىء تكلفا

* * *

الرسالة السابعة

أخى الحبيب :

سلام الله عليك ورحمته وبركاته -عليك كافة- كافة نفسك ظاهرك وباطنك، سلام دائم ليلك ونهارك، فى حركتك وسكونك..

اسمك اسم حبيب يجذب كل قلب قبل أن يراك. فإذا رآك تعطرت الصورة بأريج منعش وعاطفة تهز الوجدان، قد يخفى الإنسان هذه الجواذب وهذه الموصيات، يخفيها حياء ويكتفى بهواتفها ويبقى الشعور بالحب دفينا، يتناسى ولا ينسى، يغمض عينيه كأنه نائم وأنى له أن ينام، يتحدث ويكتب ويظنه الناس فى شغل شاغل وما هو إلا طير سابح حول هذا القلب. فالحب طاقة فوق تصور الإنسان. إن أى تعبير مهما سما فى معناه لن يحقق الهدف فى مرماه.

عجبت لأمرك كيف التقطت كل هذه المعانى وتذوقت طعم النظرة والضربة.. كثير لم يدرك تلك اللمحات لأنهم يفقدون حاسة الاستشعار، أعتقد أنه لابد فى أول الطريق إلى القلوب.. أن

نعمل على إيقاظ الحواس فإن ذلك يعين على فتح أبواب القلوب. ويكون بذلك المدعو فى وضع الاستعداد للتلقى؛ تلقى الكلمة والهمسة والإشارة ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦] وأعتقد أيضًا أن هناك (أمية) فى سلوك الحواس وثقافتها. فإن حضارة المسلم تتمثل فى نبوغ القلب والحواس والعقل ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٣]

* * *

الرسالة الثامنة

أخي الحبيب :

وصلتني رسالتك تحمل أريج عاطفتك النبيلة، خط جميل، وكلمات مسطورة بين هوامش فى ذوق رفيع. أسلوب متسق يغرى بالمتابعة المشبعة، قرأتها بشغف ونهم، فقد ترقبتها بشوق ولهفة لأستروح من كلماتها العذبة راحة لنفسى، استشف من معانيها شفاء، فالبعد يزيد من الأشواق ويلهب المشاعر، فالبعد ينهض بكوامن القلوب وإشعالها وتحريك سكونها. وكما قيل فإن ركود الماء يفسده.. فكم قاسيت من الغربة وتعذبت بها.. ومع هذا فقد صنعتنى صناعة جديدة وفريدة تعلمت من الغربة أن أعتمد على نفسى، واكتشفت أغوارى المستكنة ومذخور طاقاتى المدفونة التى كنت أعتمد فيها على غيرى. تعرفت على كثير من الناس. فتعلمت كيف أعايشهم وأدخل فى قلوبهم، أقترب منهم بحلو الحديث، وابتعد عنهم فيما لا يعنيني. عرفت الكثير وهم لا يزالون يعيشون فى ذاكرتى بل فى قلبى.

* * *

الرسالة التاسعة

أخي وابني الحبيب :

ما وجدت في هذه الحياة أكرم ولا أعظم من الوفاء . فهو نادر، وقليل هؤلاء الذين سعدوا بهذه المنحة الربانية فأنعشوا القلوب وأثلجوا الصدور . عدت إلى منزلي متأخراً مجهداً فاستقبلتني رسالتك فتلهفت عليها بأشواق حارة . فلم أكن أتوقع ما وقع في قلبي . لقد جلست معك مرات، وتحدثت إليك في مناح شتى وأنت صامت . ولكني كنت أستشعر في حديثي معك سعادة تضيء جوانبي . إنه شعور ينطق بالحق الذي يغمرني ويكسوني لولا هذا السياج الوهاج .

لماذا لا تفصح؟ لماذا لا تنطق؟ لماذا كل هذا الصمت والقلوب تشتعل والأرواح تحلق! هكذا جاءت رسالتك متوهجة . . لقد قرأت كل كلمة بإمعان وتدبر وأدركت من فقه الحواس مدى ما تتمتع به من صدق العواطف المتألقة . وما أعطيت من جمال التعبير وأدب اللغة . وأدركت من سمو تعبيراتك مستوى استقبالك لهواتف القلوب ورسائل العيون ودقة إحساسك بالهمسات الدقيقة .

لقد تعاملت مع رسالتك كأنك تجلس معي صامتاً . ولكني لم

أكن كذلك. كنت أتذوق كل هذه المعانى وأرتشف رحيقها. وإن كان الصمت أسلوبًا بليغًا راقيًا ورائعًا - كما تعايشت مع القلوب وتعذبت بها حين تناءت فى أرض الله الواسعة ولا تزال تعذبنى -لأن الحب فى الله تعالى لا يتوقف عند حد بل هو روح تسرى فى هذا الوجود. لاتوقفه المحن ولا تقتله الفتن. لا تبرد حرارته بل تشتد وتزيد. إنه فوق المقاييس التى يتعامل بها الناس فى هذا الزمان. ترى لو أنى صارحتك بما ذكرت فى رسالتك من تلك النفحات الغالية، ترى لو أنى ذكرت لك شعورى منذ سعدت بزيارتك الأولى، لو أنى قلت لك ما دار فى عقلى وقلبى، لو أنك سمعت دعواتى وتجسمت لك أشواقى.. لقد فتحت مغاليق كثيرة وكشفت بها عن منجم من القيم والفضائل، التى أرجو أن تحملك على الاستفادة بها فى ميادين النفوس البشرية التى تتطلع إلى أمثالكم لتحملوهم إلى ميادين الطهر والعفاف إلى ميدان الروح، فإن العواطف الندية تتسرب إلى القلوب كما تتسرب المياه الجوفية فى أعماق الأرض ثم تنبثق فى أماكن أخرى فتكون الواحات الناضرة وتظهر آثارها بهجة للعيون ومتعة للأرواح.

* * *

الرسالة العاشرة

أخى وابنى الحبيب :

ليس خطابك وحده هو الذى أسعدنى وأشجانى. ولكن هناك بعد آخر له أثره الكبير فى نفسى. ذلك أن الوفاء بالغ الأهمية والتأثير على النفس.. إن مجرد أن تذكرنى بالمراسلة أو الدعاء، ثم تذكرنى بأول لقاء، ثم تزورنى على بعد المسافات وفى مثل هذه الظروف التى تحيط بنا. كل هذا أجد له فى ميزان قلبى قدراً هائلاً من التقدير فضلاً عن الحب الذى جمع الله به قلوبنا.. لقد فكرت فى هذا المعنى طويلاً. فوجدت أن الإنسان يمكن أن يتعرف على إنسان آخر.. فتكون جلسة أو لقاء ثم لا شىء بعد ذلك على الإطلاق. فتموت البذرة فى تربة القلوب فلا تنبت لها جذور ولا تؤتى ثمارها.

فانظر أخى الحبيب كيف كانت نظرتك حين رأيتك لأول مرة فأفسحت لك مكانا فى قلبى، هفوت إليك بروحى، أحطتك بعواطفى ومشاعرى. ولكن لم يأن لقلبك أن يتحرك ومشاعرك أن تصحو وأحاسيسك أن تتنبه!!

ولا يمكن أن تدرك أثر ذلك على نفسي . . ولكن ماذا يمكن أن أفعل في مثل تلك المواقف الحرجة، لابد أن أجمع شتات نفسي وألملم أحزان شعوري فربما أكون قد تجاوزت الحدود المناسبة دون أن أدرى وأحاسب وانتبه.

وشاء الله تعالى أن ياتى الظرف والوقت المناسب. ففتح الله تعالى أمامى المغاليق والعوائق وأشرق فى قلبينا نور الحب الذى أضاء لنا السبيل. لقد صحوت أخى الحبيب صحوة مشتعلة، أدركت بعدها الفرق بين الماضى والحاضر، بين الموت والحياة. لقد صحوت بكل مشاعرك ثم بدأت تعانى مثلما كنت أعانى وفتحت لك تلك الحادثة آفاقا واسعة من أبواب الحب فى الله تعالى. لقد قرأت لك بعدها كلمات نادرة حين قلت: (لقد كنت تخرج من المدرسة إلى مدرسة مجاورة كى تنظر إلى إخوانك فقط) كما كنت تفعل ذلك حين تذهب إلى المسجد وانطلقت فى ميدان الدعوة بقلب جديد ومشاعر فياضة بالحب والخير. وهكذا العاطفة الحية ترف ولا تجف.

* * *

الرسالة الحادية عشرة

أخي الحبيب :

كان لابد أن تكتب لى وكيف لا تكتب وهو أقل القليل بالنسبة لما تعلمه من حبى لك. وكيف ترضى أن تمضى هذه الأيام الطويلة دون أن تذكرنى بكلمات وتعيد إلى قلبى حلو الذكريات. تبوح بما يكنه قلبك وتشدو بمعانى الحب. عساها تعوض علينا هذا البعاد وهذه الغربة. لا أنسى يوم كنت تستاك بالسواك وكان يجلس أمامك أخ يحجبنى عنك يتحرك كبندول الساعة يمينا ويساراً. انظر أخى الحبيب كيف أن لحظة واحدة يكون لها هذا التأثير الكبير الذى امتد سنوات وسيبقى ما شاء الله أن يكون ينمو ويزداد ويثمر فى قلوب الآخرين.. لو أننا تدبرنا قيمة الوقت وقيمة الحركة والصدق فى الكلمة والنظرة لأدركنا كنوز الحياة ونعيمها. ترى لو مرت هذه اللحظة بلا فاعلية ولا التقاء أرواح هل يكون لها هذا الأثر القوى فيما بيننا وبين غيرنا.

تقول إنك أصبحت خفيفا وأنقصت وزنك. وفعلاً قد لاحظت عليك ذلك فى زيارتى الأخيرة. وليس المهم هو الوزن الخفيف ولكن

المهم هو اللقاء اللطيف والابتسامة الوضيئة وسلامة الصدر وجمال الروح.

والذى نفسه بغير جمال

لا يرى فى الوجود شيئًا جميلاً

* * *

الرسالة الثانية عشرة

أخي الحبيب :

حين أريد أن أكتب لأخ أحبه في الله، فإني قبل أن أبدأ الكتابة له لابد أن أتصوره واستحضر معالمه وأخلاقه. أضعه أمامي كأني أتحدث إليه فإذا لم أكن أعرفه من قبل، فإني أرسم له في خاطري مجموعة من القيم الفاضلة لأن هذا هو الأصل في حبنا وإيلاف قلوبنا.

من هنا كانت قلوبنا هي التي تحب وأرواحنا هي التي تهفو ومشاعرنا هي التي تسعد وتفرح. أما أشكالنا فهي وسائل إيضاح ومعالم على الطريق فإذا أدركنا ذلك كان دستور حبنا في الله واضحاً حين تلتبس علينا الأمور. فنعود إلى جوهر الحب ولب الحب. فنلتقي على الصفاء والوفاء للدعوة التي هي سر جمعنا ودوافع حبنا (وما كان لله دام واتصل).

حاولت أن أرسم لك صورة أتلمس فيها سبيلا إلى قلبك فذكرت أن الأخ (....) يذكرك بعاطفة من الحب العميق فتأثرت بك لأن حبيب الحبيب حبيب. والحب يجذب الأحباب إلى أوسع الساحات وأبعد المسافات.

الحب ســـر لدى الرحـــمن منبـــعـــه

لا الجن تعـــرف مـــا يطوى ولا البـــشـــر

ورسولنا ﷺ يقول: «**لو أن اثنين تحابا فى الله تعالى وكان أحدهما فى المشرق والآخر فى المغرب لجمع الله تعالى بينهما يوم القيامة وقال هذا الذى كنت تحبه فىَّ**».

لهذا كانت صلة الأرواح لا تعوقها حواجز ولا يلزمها لقاء المسلم بأخيه المسلم.. إنما هو تعارف الإيمان بالإيمان. الأشجان بالأشجان والأحزان بالأحزان، كما يحدث بين الإخوة فى مصر وفلسطين والأفغان.

* * *

الرسالة الثالثة عشرة

أخي الحبيب :

من القلب أبعث لك بتحية الإسلام، فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته بكل ما تحمل هذه الكلمات الشريفة من معان كبيرة وعميقة. في كل كلمة عشر حسنات. إنه ليس من السهولة أن يكتب الإنسان لأخ لم يسعد برؤيته رأى العين، ولم يكن قريبًا من مكانه حتى يمكن أن يسعى إليه ويتحدث معه وتلك هى وسائل التعارف بين عامة الناس.

أما وقد تحدث عنك (....) بروح شفافة وعاطفة جياشة وقلب ودود لطّف الطريق إلى قلبك - فكان شعور الأخ الكريم نحوك سببا أتبع سببا. وأقف معك برهة نستمع إلى حديث رسول الله ﷺ وهو يقول: «**إن من الناس أناسًا ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء لمكانتهم عند الله تعالى. قالوا: يا رسول الله صفهم لنا لعلنا نحبهم....**» وفى روح هذا الحديث أشواق غامرة.. إن أصحاب رسول الله ﷺ يحبون أن يسمعوا إلى دلائل ومعالم وموجبات الحب حتى ينجذبوا إليه. إنهم يتذوقون الحب على أنه طعام القلوب فهم

يستلهمون الطريق إلى الحب (صفهم.لنا لعلنا نحبهم) إن قلوب الصحابة رضوان الله عليهم تهفو إلى أصحاب المثل والقيم فتأنس إليهم وتلتحم بهم ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه : ٣٩] .

* * *

الرسالة الرابعة عشرة

أخي الحبيب :

هاتف يتردد فى شهر رمضان من كل عام فقد التقينا يوم تشييع جثمان أستاذنا الراحل عمر التلمسانى فى شهر رمضان ١٤٠٦ هـ إلى رحمة الله تعالى .

حين رغبت فى تحيتك بعد أن استمعت إلى كلمتك الصادقة المخلصة، تلك التى روت عواطفنا وأججت مشاعرنا وأثلجت صدورنا وسكنت أعماق قلوبنا . وهى حين تنبع من قلب شاب ولد فى زمن المحنة والغربة، فما أشد وقعها وأعظم تأثيرها، لشدة وحشتنا وتشوقنا إلى هذه الروح وتلك المواقف التى أعادت إلى ذاكرتنا ذلك الماضى التليد للدعوة الإسلامية، يوم كانت الخطابة بالعربية الفصحى نبراس وأسلوب العصر، يوم كانت لسان المثقف والعامل والفلاح، يوم أنطقت الدعوة كل شىء . وشهدت مصر حضارة اللغة العربية وتوهج ألفاظها وجمال التعبير بها . ومنذ أن أغلقت دور الإخوان ومؤسساتهم العلمية والصحفية انحط أسلوب الكتابة والخطابة والشعر حين نزلت اللغة العربية إلى مستوى العامية التى لم يعرف غيرها حتى القادة والزعماء .

عشرات بل مئات من الشباب كانوا يغردون بالدعوة الإسلامية أدبًا ونثرًا وقصصا وشعرًا فى أنحاء مصر والعالم الإسلامى مدنها وقراها على منابر المساجد وأروقتها، فى الحفلات والندوات والمؤتمرات والمحافل، فى الأفراح والأتراح فى كل ميدان وكل مكان، كلمة الدعوة كانت تدوى كالرعد وتضىء كالبرق وتسرى كالنور. لقد غابت هذه الروح طويلاً، ولهذا كانت كلمات الخطباء فى رثاء الأستاذ عمر التلمسانى بشيرًا بعودة الروح لجسد هذه الأمة وللغة القرآن الكريم.

لقد كنت أستمع إلى كلمتك بقلبى وكنت أشفق عليك وأنت تستلهم المعانى وتنادى الكلمات وتدق على القلوب بأحلى عبارة وأرق أسلوب فى هذا الجمع الحاشد والموقف الخاشع والملأ الحزين.

رحم الله أستاذنا الفقيد الجليل الذى كانت حياته دعوة ومماته دعوة.

* * *

الرسالة الخامسة عشرة

أخى الحبيب :

دفعتنى عاطفة مستكنة فى أعماقى لتعلن عن نفسها، لتقول بلسان حالها ما لم تبده في حينها، حين رأيتك لأول مرة بقلبى رأيتك دون حديث سوى هواتف أبعثها إشارات كالشهب تخترق الحجب. إن لقاءنا الأول كان حديثًا أنطقه بل كان شوقًا أبثه إليكم وعاطفة أسربها إلى وجدانكم وأناجى بها مشاعركم. فحديثى إليك دعاء ومفاجأة وأمل. فأنا مشدود إليك من الداخل وحريص على أن تصلك أصداء هذا الشعور بنفس الإحساس ونفس الشعور.

إن الاختلاس حرام إلا فى هذا المقام، فاختلاس القلوب أمر محبوب **«لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»** حديث شريف.

* * *

الرسالة السادسة عشرة

أخي الحبيب :

كأني بك كنت على موعد معي في معرض الكتاب ومنذ تلك اللحظة وأنت في قلبي. ولعلي أردت يومها أن أترك لنفسي مكانا في نفسك، أو رأيت أنها فرصة لا يجب أن تضيع فالوقت هو الحياة فتقدمت لك بكتاب هدية (تهادوا تحابوا) . . حتى كان لقاءنا الثاني فادركت أن المسافة بين قلبينا قد تقاربت وشعرت منك بعاطفة وانعطاف، رأيت ذلك في إقبالك وإشراقة وجهك ونظرات عينيك، ولما دار الحديث عن قرب قريب في تلطف إحساس وشديد حماس بكلمات ساكنة هادئة ولكنها قوية متأججة تتفاعل من الداخل كأنها أمواج متلاطمة. ثم ظلت هذه المشاعر تعيش في ضميري ووجداني . . حتى باعدت بيننا الأيام وأصبح كل منا في مكان والأرواح تهيم والحنين يزيد وليس لنا والله إلا الصبر والدعاء.

تلمـــــست حـــــبي في كل درب

وعـــــانقت قلبي لأنك فـــــيــــه

الرسالة السابعة عشرة

عمى الحاج عباس :

بعد أن هبت علينا نسائمكم الطيبة وريحكم العبقة كالحلم الجميل وملأت قلوبنا بشرا برؤيتكم وهناء بقربكم، استيقظنا والجميع – علم الله – غير مصدق بأنه كان حلمًا مر سريعًا وإن كان قد ترك بصمات لا نستطيع أن ننكرها .

عمى الحاج : كلما جلست معك أحسست أننى فى عالم آخر هل للكلام دور؟ أم للبساطة أم للأدب؟ أم للشكل الحلو الجميل الذى حباك الله به؟ أم لكل هذا؟

إننى – علم الله – أحس عند الجلوس معكم كما كنت أحس مع والدى رحمه الله بالسكينة والطمانينة كما أحس بتلاقى المعانى والأفكار .

* * *

الرد

أخى وابنى الحبيب :

كانت مفاجأة طيبة أسعدتنى وأشرقت بنورها على قلبى، رسالتك اللطيفة المهذبة، إنها قوية جذابة، تقول فيها - يرحمنا ويرحمك الله - كلما جلست معك أحسست أننى فى عالم آخر، هل للكلام دور؟ أم للبساطة؟ أم للأدب أم للشكل الحلو الجميل الذى حباك الله به؟؟

إسمع أيها الحبيب اللبيب . . إننى اعتز بهذه الكلمات الكريمة التى ذكرت، من ناحية أنك تعبر عن صدق شعورك وتصارحنى بما يجول فى خاطرك، وأعتقد أننا فى حاجة إلى هذا الوضوح وهذا الاجتلاء . كم من أخ تسكن هذه الأسئلة فى ضميره ولا يبوح بها تقلقه ولا يصارح بها، أقول لك إن الكلام الذى تنطقه أو تكتبه هو بالنسبة للكلام المستور والمكنون قليل ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق : ٩] سوف تنكشف حقائق نفسية مذهلة، حجبها عن الظهور ظروف غير مرئية . .

وساعة يلبس الحديث تمام الصدق . . وصدق النية وعطر الأنفاس

تكون البساطة في الحقيقة فطرة لا صناعة. إذ أن البساطة أسلوب حياة تنبثق من العقيدة ويسر الإسلام.

وكل تغيير أو تقليد في أسلوب الفطرة سوف يعكر صفو السامعين المتذوقين الذين تسمو نفوسهم عن الصناعة والصياغة. فالعين اللماحة المستبصرة تكون مشدودة دائماً إلى الفطرة.. وهكذا يستوى الفهم على خط استواء مع المشاعر والأحاسيس. وتلك عظمة التربية وهي عبارة عن تجانس متقارب في الفهم والعاطفة والسلوك تقع بينها فوارق هامشية لا تضر.

أما قولك للشكل الحلو الجميل الذى حباك الله به؟؟

أقول أخى الحبيب، إن هذه أول مرة أسمع هذه النعوت الجميلة! إننى معجب بما تقول مجازا، لأن هذا المعنى صدر عن نفس جميلة ترى فى إخوانها صدى ما يدور فى حسها، فكل إناء بما فيه ينضح.. وكم أتمنى أن تخرج عوالج قلوبنا ومضامين أفئدتنا. فعند كل منا كنز من الأسرار النفسية العميقة.

وأصارحك أن الإنسان حين يحب أخا من إخوانه.. إنما تجذبه إليه بعض الخصائص والمميزات. فإذا كشفها له أخجله، فهو يحب فيه قيمة من القيم، أو حاسة من حواسه المضيئة.. بعضنا يظن أنه بذلك قد استحوذ على من يحبه (كله) طبعا لا. لأنه يحب فيه جزءاً من كل.. فالأخ الذى يظن أنه يستحوذ على الحبيب بسلطان الحب.

فإنه بعد قليل يفتقد هذا الحب فلا يجده، لأن دوام الحب يكون فى تقدير مشاعر الأحباب واحترام حريتهم.

أنا أحب الجمال، وكل صاحب كبد رطبة يحب الجمال، ولكن المقاييس والنظرات تختلف.

جـــمـــال الوجـــه مع قـــبح النفـــوس
كـــقنديل على قـــبـــر المجـــوس

فإذا قال الأخ لأخيه: إنى أحبك لأنك جميل. فإن هذا الحب سوف تنطفىء شمعته وتخمد جذوته وتموت غايته. إنى لا استطيع أن أصارح كل من أحب بكل ما أحببته فيه فيخفيه فتتعطل إمدادات الروح بسفه العقل. فالجمال ومضة تضىء الوجه بجلال السكينة والإيمان وهو عند المحبين للجمال موصول بمحاسن الأخلاق ورقة الأحاسيس والمشاعر فإذا لم يحط هذا الجمال بسياج الإيمان والتقوى، كان غاية فى ذاته.

أخى الحبيب.. لقد فتحت رسالتك لى مجالا للإفصاح عن واقع يعيش فى الأعماق، تحجبه عن الحديث فيه ظلال من الخجل. وإن كان لا يمنعه الإحساس به والحياة معه كمن يعيش فى حديقة، وليس من داع ليقول إنها حديقة.

* * *

الرسالة الثامنة عشرة

أخي الحبيب :

أعود إليك هذه المرة تتنازعني عوامل كثيرة وتتخطفني آراء شتى أراني أغوص في أعماقها تارة وأطفو على سطحها تارة أخرى لأتبين طريقي وأعرف سبيلي. فإن الطريق شاق الخطى شديد الوعورة. مع هذا فقد تعجب حين ترى هذا الشباب الغض وهو في ريعان الصبا في نشوة الحياة وزينتها والمستقبل الزاهر يفتح له ذراعيه والمنفعة سهلة بين يديه، ثم هو تجاه كل ذلك يفطم نفسه عن كل شهوة ويستعلي على كل منفعة في عزة المؤمن وكرامة المجاهد ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران : ١٧٣] إن هذا الشباب المؤمن قد استيقظ على صحوة قلبية ومتعة روحية وسلعة غالية (هي الجنة) لم يعد هذا الإنسان الجديد في خاطري شكلاً أو صورة. لقد أصبح في عقلي وقلبي - عقيدة - روح وريحان، خلق وسلوك وعي وحركة. قلب صادق ودود، روح هفهافة ولسان رطب، عين فيها بريق الإيمان والأمل والحياة.

أخى هذا ما كنت أنشده قد ولد من جديد، أراه قد انتفض واستنهض من نكسة وانتشل من غرق وأفاق من غفوة وغفلة. وتنبه للحياة الحق فوقف فى أعلى قمة فى الوجود يهتف [لا إله إلا الله محمد رسول الله].

أخى الحبيب.. أعود إليك مرفوع الرأس مدفوعًا بالأمل الذى لن يخبو فى نفسى أبدًا محصنًا باليقين الذى تزيده المحن رسوخًا وقوة – ولقد رأينا من الآيات الربانية ما ثبت الله به أفئدة المؤمنين ﴿ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ [الفتح: ٤] آيات أبلج من الشمس في رابعة النهار. لقد رأينا قدرة الله تعمل معنا فى غير حول لنا ولا قوة من جار يؤوينا ولا سلطان يحمينا ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣]

* * *

الرسالة التاسعة عشر

أخي وابني الحبيب :

والبنوة هنا ليست بنوة نسب وإن كان ما بيننا من نسب يضاعف من قيمة الصلة التى تربطنا، والحقيقة أن الصلة التى استشعرها نحوك هى فوق كل هذا بل أعمق لأنها صلة العقيدة ورابطة الإسلام، والعقيدة أغلى شيء فى الوجود .

«يا ابن آدم جعلتم نسبا وجعلت نسبا فقلتم فلان ابن فلان وقلت إن أكرمكم عند الله أتقاكم. فاليوم أرفع نسبى وأضع نسبكم» حديث قدسى .

ولعل هذه أول رسالة أسطرها لك . . كنت أود أن أوجهها لك حديثا تسمعه منى كلمات . غير أنى أحسست بل خشيت أن تغلبنى عاطفتى فى هذا الموقف الحزين الأليم، الذى يدرك فيه الإنسان فداحة المصيبة - فالحزن عندما يكون على قيم فقدت وأشواق وعواطف انطفأت فلا تعود، فالحزن لا يسكن ولا يهدأ . إنها مصيبة غيث انقطع ونور انطفأ ونفس طاهرة لن تعود إلينا فى هذه الدنيا .

* * *

الرسالة العشرون

ابنى الحبيب :

رغم ما أحسه من حزن يخيم بالصمت وعدم الانشراح، رغم ما أجد من ضيق وألم رغم هذه المشاعر المتألمة، فإنى أسعى إليك كاتبًا وإلى قلبك مخاطبًا فإنى أعلم أخوتنا لم تكن ملكًا لأحدنا دون الآخر. بل هى فى الواقع ملك لهذا الدين الذى آمنا به بعقيدة صادقة وفهم وإدراك. لهذا فلن أدعك مخاصمًا ولا أتركك مجافيًا ولا ابتعد عنك. وليس ما قد وصلنى عنك يغير من قلبى نحوك ولا يضعف من صلتى بك، فلست بالذى لا يدرك الحياة والأمور على حقيقتها لست هذا الإنسان الجاف الجامد.

وإنما أنا قلب يحترق وضمير يتأرق ونفس تهفو إلى أسمى ما تزكو به النفس وتتطهر به الروح وترقى به المشاعر. فكلما ارتفعت أنت فى هذا النور شأنا كان ذلك انتصاراً للحق وإنصافًا للدعوة والتماسا للشباب أن يجدوا فيك القدوة ويحمدوا للدعوة أن صنعت رجالاً وحققت أحلامًا، ويكون لك بهذا أجر لنفسك إن

استقامت على الحق والهدى، على أن تكون شمعة تضيء لغيرك سبيل الحق والاستقامة.

﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: ٢٢].

* * *

الرسالة الواحدة والعشرون

أخى الحبيب :

فرحتى لا ترى بالعين وإن كانت قد حركت كل جوانبى وهزت كل مشاعرى وأيقظت منى كل ساكن. إن فرحتى فوق تصورك مهما حاولت أن تتذوقها منى جانبك إذ أن العثور على قلب مؤمن فى هذه الحياة أمر شاق وعسير. فإذا أكرمنا الله تعالى بهذا القلب فهناك زينات وأفراح تقام فى أعماق قلوبنا وأنوار مشرقة تضىء فى جوانب نفوسنا وحياة منعشة تجدد شبابنا.. صورتك اللطيفة المهذبة، روحك الهفهافة المؤنسة، نظراتك العطوفة الحانية وعواطفك النقية، كلماتك التى تكاد تتحرك على القرطاس والتى تكاد تسمع صوتها كأنين الثكلى ودموعك الحارة الساخنة التى أحسها تسقط على قلبى فتشعله نوراً وتضىء جوانبه بالفرحة والسعادة. قلبى الذى تخاف أن يفلت من يديك ويسرقه غيرك. إن هذا القلب غاص فى المحيط – محيط الدعوة الواسع الفسيح – مذاقه حلو عذب رقراق.

***

الرسالة الثانية والعشرون

أخى الحبيب :

إن الكتابة رغبة والأسلوب موهبة والتعبير حركة انفعال، وبقدر هذا الشعور بقدر ما يلتحم العقل بالقلب، فقلما يتصل بالقلب إلا فى الحب، والقلب هو مستودع الحقائق الظاهرة والباطنة وأروع ما فى خزائن القلوب هو الإيمان والحب، وكثيرا ما يخجل المحب من الحب، فترتعش الشفاه وتبرق العيون وتصمت الكلمات .

لهذا كانت النظرات ملحمة أرواح وعواطف سريعة كلمح البصر أو هى أقرب . والقلوب تذوق من خلال تألق الروح أو ومضة من قبساتها .

وكلمة الحب فى الله تعالى لها منازل ولها مواقف . فهى اليوم – فى ظروف ما أصابك فى حادث السيارة – ألذ شراب وأشهى طعام وأمتع متعة وأنعم نعمة . فكلما رقت القلوب من محنة الألم توهجت معانى الحب وقويت روابط القلوب وتساقطت الذنوب واستجاب الله الدعاء (ودعوة المريض حتى يبرأ) وصار الحب فى الله

تعالى فى وحدة الغاية والهدف والأمل بعيداً عن رغبات النفس والهدى -لهذا كانت فتنة الاعتقال والسجن والتعذيب فى منطق الأعداء هى القاصمة ولكنها فى منطق الحب فى الله تعالى هى التى تجمع وتربى وتزكى.

إن الظروف التى تعايشك قد أشعلت قلبك وأطلقت مخزون عواطفك وحصدت بها رصيد النظرات والابتسامات والكلمات والخطوات المخلصة التى أحاطت بك. فرأيت بقلبك أضعاف ما تراه بعينيك. وكان الألم المقدور محطة على الطريق، حقيقة جديدة فى عالم الدعوة التى هى فى الواقع (أحداث ومواقف) ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢] فمن خلال المواقف والأقدار تتكون معادن الرجال وعلى قدر أهل العزم تأتى العزائم.

* * *

الرسالة الثالثة والعشرون

أخى الحبيب[1]

أكتب لك هذه الرسالة بعاطفة تفيض حبا وتقديراً لشخصك الكريم الذى أحببته منذ رأيته لأول مرة فى مطار فرانكفورت وكان يومًا بهيجا مشرقًا متلألئة ثناياه واضحات بينات كاللؤلؤ المكنون . وناهيك عما حدث وكان، مما ظل أثره فى كل لقاء وفى كل مكان .

أخى الحبيب : صدقنى أننى معجب بشخصك لأسباب كثيرة تجاوب فيها معى بلا قيد ولا مقدمات، ذلك هو تفاهم تام واتصال كامل بين قلبينا وتعانق حار بين روحينا . وأعظم من ذلك تلك السماحة السمحة اللطيفة فى تقبل حديثى معك بما لا يغضبك . ولعلك تكون قد أدركت أننى (سيسى) ولا عتاب على الأحباب؟!

والحقيقة أقول لك : أننى أحب الإخوان (السمر) ولا أدرى أهى فضيلة أم لأننى من نفس الفصيلة!

فإذا كنت أسمر بنضارة وأيضًا تلبس نظارة فتلك من دوافع الحب ومؤهلاته وتلك نعمة (والطيور على أشكالها تقع) أين كنت

من زمان وعايش لوحدك فى السودان فى غربة هذا الزمان. ولكن لا غربة بين المسلمين - (وطنى الإسلام لا أفدى سواه - وبنوه أين كانوا إخوتى) .

* * *

الرسالة الرابعة والعشرون

أخي :

قرأت رسالتك المسطورة، تشكو فيها العواطف التى تبدلت وحرارة الحب التى بردت والمشاعر التى خبت وتبكى الأيام التى خلت، حيث كان نعيم الحب يكسو الحياة بالمتعة والسعادة، ويضفى عليها البهجة، وكان الشوق إلى اللقاء يتوقد وعلى الدوام يتجدد. كانت النظرات فى حياء وصفاء لا يحجبها غبش ولا يردها أسف، وكانت الكلمات تنساب فى جداول القلوب لا يعوقها ظن ولا تعكرها شبهة.

كانت أحلى النظرات وأطايب الكلمات دستور تعاملنا وضمير علاقاتنا واليوم تئن القلوب أنين الثكلى بأشواق محزونة وعواطف مهزومة لأسباب مجهولة لا تريد أن تفصح عنها ولو كنت أجلس واستمع منك، لقرأت ذلك على صفحة وجهك ونبرات صوتك واستحياء كلماتك، ولكن أنى لى ذلك والبعد البعيد لا يعطى الإنسان ما يريد.

فالحب ما كان لله دام واتصل حيث لا يعكره إثم ولا يعوقه ذنب. كما يقول الأديب مصطفى صادق الرافعى: (أحب ولكن فى ضميرى عقيدتى ودينى). فالعواطف أمواج تحرك الأحاسيس والمشاعر فلا تدعها تموت من فتور أو ركود - وأحيانًا تنقلب العواطف إلى عواصف تخلع ثوابت الحب وتزلزل قواعد الثقة وتباعد بين القلوب، فقد ورد عن رسول الله ﷺ: «**والذى نفسى بيده ما تواد اثنان فيفرق بينهما إلا بذنب يحدثه إحدهما**»، والله تعالى يحذرنا فى قوله: ﴿**الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ**﴾ [الزخرف: ٦٧]، فانضباط العواطف على قواعد الشرع يحفظ موازين الحب فى الله ويديمه مدى الحياة.

* * *

الرسالة الخامسة والعشرون

أخى الحبيب :

لقد عشت مع نفسى على انفراد فترة طويلة، عشت بعضها مع بعض الكتب وبعضها مع الخواطر.. فرأيت أن أتحدث إليك بهذه الرسالة استشعاراً منى بوجودك معى حين طال غيابك عنى، وشعورى هذا هو الحقيقة التى قد تغيب عنك وعن بعض من أحب. أتمنى لو تنكشف لهم حتى يتذوقوها، وهو شعور يتيم بعد أن تركت ورائى هذه القلوب الحبيبة. لقد بدأت أحس بالوحشة وأتنسم على البعد عبير هذه المشاعر الندية التى عشت فى رحابها ونعمت فى ظلال حبها.. إننى أتحسس طريقى على صدى هذا النغم الحلو وهذا النشيد العذب، عساى أجد الواحة الظليلة والقلوب الكبيرة التى تضمد الجراح وتخفف الآلام وتواسى الأحزان وتمسح على جبين المعاناة. لأن القلوب المؤمنة ترى من صميم العقيدة أن تسعد الناس بالسعادة التى منّ الله تعالى بها عليها، فلا يستريح له بال ولا يطمئن له خاطر حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه. إنه يتمنى أن يتذوق الناس جميعًا طعم هذه الحلاوة. فهو يتلطف فى حديثهم ويتودد بقلبه إليهم ويبذل من ذاته وجهده ووقته ليصل إلى قلب تزداد به كتيبة الإسلام قلبًا جديداً.

الرسالة السادسة والعشرون

أخي الحبيب :

في رسالتك الكريمة تسألني سؤالاً وتطلب مني أن أجيبك عنه في صراحة ووضوح لأنك تعلم يقيناً أهمية هذا الموضوع ولزوم صدق التعبير عن مكنون نفسي وشعوري وتذوقي حين إجابتي عن هذا السؤال .

وحين قرأتك وأنت تسأل [أيهما أولى بحبك من تحبه أو من يحبك ؟] شعرت في الحال كأني في لجنة امتحان آخر العام . فالسؤال مفاجأة لم أكن أتوقعها ولكني استجمعت قواي الروحية لتواجه تلك المفاجأة التي أدهشتني كي أرد عليها بنفس العاطفة ونفس الشعور . إذ أن هذا السؤال وارد ولكنه مستور في أعماق النفس والشعور، حيث أن فلسفة الحب في الله لم تكشف أسرارها وأغوارها النفسية بالبحث والصراحة في حركة الدعوة الإسلامية التي تأسست على العقيدة واشتعلت بالحب وانتصرت بالجهاد والصبر .

فالإجابة على سؤالك ليست سهلة لأنها ليست عملية حسابية

تنضبط بأرقام ولكنها فى الصميم عملية قلبية تتعامل بالأحاسيس والعواطف والمشاعر، فإذا كان حبك ينصب على الشخص الذى تحبه دون سواه، فهو حب ذاتى لا يرقى إلى مستوى الحب فى الله، لأن الحب فى الله حب جماعى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] صحيح أن الحب يبدأ بالفرد على أساس دعوة. فالواجب أن تحب على مستوى الطرفين ثم على مستوى جذب الأفراد من تحبه ومن يحبك. وأن تحب من لا يبدى لك حبه حتى يحبك ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة: ٧] لأن دعوتنا تجمع وتبنى. فمن أجل نصرة الدعوة يكون حبيب الحبيب حبيبا - ومع هذا فقد تحب إنسانًا بصدق الحب ولكنك لا تدرى موقعك فى قلبه!

أنت الحبيب ولكنى أعوذ به

من أن أكون محبًا غير محبوب

ولهذا فإن رسول الله ﷺ حث على تبادل الحب فقال فى حديثه الشريف: «لو تحاب اثنان فى الله تعالى كان أقربهما لله تعالى أشدهما حبا لصاحبه»، فإذا حكمنا العقل والمنطق فإن من يحبنى هو أولى بحبى، وإذا حكمنا العاطفة دون العقل فإن من أحبه هو

أولى بحبى. وأما سعة الحب فى الله تعالى وعالميته فإنها تدعونا أن نحب كل من يحب الله ورسوله ودعوته والحب على هذا المستوى يشمل مساحة لا حدود لها من قلوب وعواطف وأشواق كل المسلمين على وجه الأرض.

* * *

الرسالة السابعة والعشرون

أخى الحبيب :

منذ تسلمت رسالتك وأنا معك على الدوام أعود إليها كثيراً لأخفف عن نفسى الكثير من المتاعب التى نعايشها فى هذه الحياة، والتى أعتقد أنها من طبيعة الأشياء ومن هنا كانت الكلمات الصادقة إيناسًا للنفس وراحة للقلب وحياة للروح، وكانت تلك العاطفة المشرقة كالماء البارد فى صيف شديد الحرارة. ولا تنس أخى أن تلك المشاعر والإيناس هو شعور بقيمة الإنسان وذاته ووجوده الحى على وجه هذه الدنيا. فالإنسان الذى لا يجد قلبا يؤويه أو روحا تسرى فيه فتسرى عنه همومه وتأخذ بيده إلى الحق والصواب، إنسان يعيش فى تيه لا ساحل له ولا مرفأ يستقر عليه، ولهذا كانت صلتنا وود قلوبنا سعادة ورحمة مهداة من الله تعالى. ولعلك أدركت ذلك من الواقع الذى نعيشه – ومن فضل الله أنك قد أدركت ذلك من زمن بعيد – يوم كنت لا أدرى نفسى ولا أعرف لى غاية ولا هدفا ولا مصيرا اللهم إلا متاع الحياة الدنيا وزينتها. فلما أدركنى الله تعالى برحمته وهدانى إلى واحته، تغيرت حياتى وكأنى

قد ولدت من جديد لهذا فأنت أيها الحبيب سعيد ومسعود بما حباك الله من فضل، حيث وفقت إلى هذا الطريق، وتلك نعمة تحتاج إلى الشكر وتحتاج إلى تدعيم الشكر بالعمل المتصل والصبر الجميل.

* * *

الرسالة الثامنة والعشرون[1]

ابنى الحبيب :

إن هناك غذاء لا يتوفر فى الأسواق مهما بحثت عنه لا تجده إلا فى نفحات القلوب ورقة المشاعر وصدق الحب فى الله، تستطيع أن تغذى جسدك وتملأ معدتك بأى أنواع الطعام! ولكنك لا تستطيع أن تملأ روحك وتغذى قلبك إلا بأعطر المعانى وأزكى الكلمات وأطهر العبارات، ولا يتأتى ذلك أيها الحبيب إلا من هواتف قلوب متحابة، غاية الحب فى الله تعالى - إذا رأيتها أيقظتك وإذا غابت عنك تلمست السبيل إليها بهواتف القلوب - يعيش معها وتعيش معه لا يفرط فى حقها ولا تخدعه ظروف الحياة عن الوفاء لها .

إن الحمـــــــام ينوح من ألم النوى
وأنا أنوح مـــخـــافـــة الديان
نوح الحمام على الغصون شجانى
ورأى العذول صبابتى فبكانى

(١) الرسالة إلى اخ فلسطينى فى المدارس الثانوية .

هذا حال الحمام فما بالك بحال القلوب الذواقة المشتاقة

عـــيـــون للســـمــــاء تبـــوح ســـراً

وقـــد تغنى العـــيـــون عن البـــيـــان

أحـــاســـيس تبـــدت فى نفـــوس

فـــأيدتهـــا العـــيـــون بلا لســـان

حين تعرفت بك وأحببتك كنت على يقين من أنك مذخور بهذه المعانى ومشحون بهذه العاطفة، وكنت ولا زلت أقصدك منبعا يفيض بهذه المشاعر على من حولك وأن يفتح الله بك سبيلا لحياة القلوب والأرواح.

* * *

الرسالة التاسعة والعشرون[1]

الأخت الكريمة:

رسالتك اللطيفة أعود إليها أكثر من مرة، رغبة منى فى استنشاق عبيرها واسترواح مناخها والعيش فى رحابها. فقد نقلتنى هذه العاطفة من جمود إلى حركة وحيوية وهذا شأن الصدق فى التعبير والاتجاه، وهو رد فعل صنعته دوافع روحية عميقة، فكان لابد له أن يصل إلى القلوب بقوة هذا الدفع الرائع، فإن قوة الروح المدعومة بعاطفة الإخلاص هى أقوى المداخل إلى نفوس الناس ومفاتيح قلوبهم وأفكارهم. فإن رجال الرياضة البدنية يتعاملون بقوتهم البدنية والعضلية. أما رجال الدعوة الإسلامية فإنهم يتعاملون من منابع أرواحهم وأريج قلوبهم ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣] من هذا المنطلق الذى وهبك الله تعالى، أرجو أن يكون له شأن فى تدعيم روح الحب والإخوة بين من تعيشين بينهن من الزميلات، اللواتى هن فى حاجة ملحة إلى تلك العاطفة المشرقة.

---

(١) رداً على خطاب إحدى الأخوات الكريمات فى مصر.

التى تهدهد من المعاناة من عذاب تلك الحياة، فالنفس البشرية تميل بطبعها إلى من يخفف عنها ويلطف الجو حولها.

قرأت فيما قرأت لك [لست أدرى كيف أشكرك على اهتمامك البالغ بتلميذة صغيرة جداً..] صدقينى إنها رسالة رائعة بل رسالة قلب وليس للقلوب سن بل الإنسان بقلبه وإيمانه.. صدقينى أننى أرحب بكل رسائل الإخوة والأخوات وأسعد بالرد فى الحال. لأن هذا - كما تشعرين - فيه حياة وأنس وسعادة وتجديد لمعلومات ومفهومات. فضلاً عن أن الكتابة تفجر ينابيع وتلهم المعانى وترقق القلب وتعين على الصبر وتؤدى رسالة الدعوة بأحسن ما تكون الوسيلة، أو الوسيلة التى هى أحسن.

وتقولين: [ولا سبيل إلى تجافينا بعد هذا الارتباط الحميم] وكيف أجافى من بدأنى بالسلام وصاحب السبق له فضل.. كيف أجافى قلبا سعى إلى قلبى؟ كيف أجافى سر وجودى وحفيف روحى؟ كيف يعيش أمثالى بلا قلوب تتعانق وأرواح تهفو على البعد البعيد؟

* * *

الرسالة الثلاثون(١)

أخي الحبيب :

لا تزال أعماق الروح وهواتف القلب ومنابع الروحانية مجهولة عند البشر، ويوم يتذوقونها ويستشعرونها سوف تتغير سلوك وأخلاق وعادات تنقلب بها الموازين البشرية ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد : ١١] ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت : ٥٣] ولهذا أخي الحبيب إننى حين قرأت رسالتك شعرت بالتجاوب العميق والتقابل الوثيق والاتفاق فيما يجمع بيننا من شعور ومشاعر وهواتف، وهى أسمى ما بلغته الإنسانية من رقى فى الذوق واللياقة والحضارة والأدب وسلوك الحواس بل وثقافة الحواس، تلك أعظم معالم شخصية المسلم، فإنها بتحركاتها الحية المشرقة المضيئة تعلن عن حسن الخلق، وأدب الكلمة وخشوع النظرة وحسن اللقاء والاستماع، والرحمة والتواضع، وخفض الصوت، ورقة الابتسامة، وخفض الجناح، كل ذلك إنما هو حركة الحواس ويقظة فى الوجدان والمشاعر.. والإنسان

(١) إلى أخ كريم طبيب فى لندن.

الذى لم يستخدم حواسه كما أرادها الله تعالى، فستبقى مظلمة معتمة جافة، وهذا هو الإنسان (الميت) ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

خطابك هذا ينطق بتلك المعالم المتوهجة وتلك المعانى التى تعبر عن مكنون صادق كريم فإذا أضفت إلى كل ذلك، القلب الفتى والعقل الذكى والروح النقى فقد تربعت على قمة من الحب فى الله تعالى.

* * *

الرسالة الواحدة والثلاثون

أخي وابني الحبيب :

تلقيت اليوم رسالتك المشحونة بالعواطف والتى تشكو فيها نفسك لما تحسه من شعور جاف بالحب نحو أخ شغل عليك تفكيرك وملك منك الجوارح حتى أنك لا تطيق أن تبتعد عنه ساعة من نهار أو ليل، وتحس بضيق وغضب واكتئاب نفسى إذا رأيته يمشى مع أحد غيرك فلا يطيب لك طعام أو شراب بالرغم من أنه يحبك أكثر من الآخرين.

وقبل أن أسرد عليك ما أحسه نحوك بما جاء فى رسالتك أرجو أن تعتبرنى أخا كبيراً، أقدم لك النصيحة وخاصة أن مثل هذه الحالات تحتاج أن يتغلب العقل على شرود العاطفة. فالحب فى الله تعالى مشروط بقواعد شرعية وآداب إسلامية. فلا يتعداها سواء إلى التفريط أو الإفراط. فالحب فى الله ارتقاء بالعواطف والمشاعر إلى مستوى الانتساب إلى الحب « فى الله » وهو الحب على مستوى الطرفين بميزان بعيد عن الذاتية والأنانية، فليس الحب فى الله أن

تذيب نفسك فى نفس من تحب وحدك. فالحب فى الله هو رباط كل القلوب لينشأ من هذا الحب صرح الوحدة الإسلامية، فأنت تستأثر وتحجب روح الحب عن القلوب وتجعل من تحب أسير حبك وحدك، وهذا طغيان عاطفة وقصور عقلى. تجعل عند وجودك ضياعا لوجوده وتقليلا من حقوقه وتعطيل قدراته، وتعوقه عن حرية الحب فى بساتين القلوب وتعطل مواهبه الروحية والجمالية والأخلاقية من أن تنطلق وتعمل فى محيط الدعوة الممتد الفسيح لتكون أداة محببة وجاذبة تجمع على الدعوة كل مسلم أشرق فى قلبه نور الإيمان.

[تحبب فإن الحب داعية الحب

وكم من بعيد الدار مستوجب القرب]

ولتعلم أن الأخ الذى تحبه كنز مفتاحه الحب فضعه فى مكانه اللائق الكريم.

وكل من يعايش ظروفكما ويرى سلوككما ليس بأعمى ولا غافل، فينقلب الأمر إلى مشكلة أخرى كما يقال فى المثل: (اللى يحب نفسه تكرهه الناس) (ومن لم تكن فى الله خلته، فخليله منه على خطر).

والغريب أخى الكريم.. أنك تغضب وتتألم حين يمشى أخوك مع

أحد غيرك . فأنت بهذا الشعور وهذا السلوك قد اعتبرت الأخ الكريم (أسير) حبك، تتحكم فى شخصيته بما تراه وتهواه، وكيف تكون أنت حرا فى تصورك وتصرفك ولا تدعه هو كذلك!!

إن الحب فى الله أن ترقى بمن تحب إلى مستوى التقدير والاحترام حتى يحس أنه شخص على مستوى يحبه كل الناس. فتشعر أنت بالفخر والاعتزاز أنك تحب أخا يضعك فى مقام كريم.

والأخ الذى تحبه لا يمكن فى كل مناسبة أن يتحدث ويكرر أنه يحبك، إن ذلك شأنه أن يفرغ كلمات الحب من قاموس العواطف وتكون بذلك قد استنفدت رصيدها، ولا قيمة لكلمة الحب إذا قيلت لفظًا فإنها ستكون نغمًا يشجى لحظة وينطفىء. إن أجمل وأنفى كلمات الحب تلك التى تسمعها بقلبك.

وختامًا : أخى أقول لك، إنك قد جاوزت حد الاعتدال فى قول الرسول ﷺ : (أحب حبيبك هونا ما) فشعورك هذا الذى وصفته بصدق وأمانة لا يمكن أن يبقى مشتعلاً على هذه الصورة الملتهبة. فإن الأيام والظروف سوف تعمل عملها حتى تستقيم وتستقر العواطف على طبيعتها، فمن المحال أن يدوم هذا الحال إذ لابد من مجالات وتغييرات مختلفة قادمة على حياة كل منكما سوف تغير من هذه الثوابت المؤقتة، حتى تستوى العواطف على الجودى.

* * *

الرسالة الثانية والثلاثون(١)

أبى الحبيب :

إنه لا يطفىء الشوق إلا اللقاء. لقد تعب قلبى من الانفعال العاطفى الذى يشعلنى.. الحقيقة أننى عندما بدأت هذه الرسالة كنت فى حيرة قبل أن أخاطبك (بأبى الحبيب) ولكننى لم أجد غيره فى قلبى كى أعبر به عن شعورى نحوك، فإن شعور التلميذ تجاه معلمه محدود بالدراسة وفضل تعلمه على يديه، وإذا خاطبتك بلفظ « أخى » فإنى أجد فى ذلك خجلاً من شخصكم الكريم.. ولكنى أناديك بأبى وجدت لديك عاطفة ورحمة وروح المعلم الحريص على ابنه، أنت أخ كبير سقى بذرة الحب التى غرسها الله سبحانه وتعالى فى قلوبنا لتنمو وتصبح شجرة باسقة، صحيح أننى لم أمكث معك فترة ولكن ما تعلمته منك كان عظيماً.

لقد قرأت الجزء الأول من الدعوة إلى الله حب، وبكيت حين وصلت إلى قصة « كوب الشاى » التى كانت سببا فى تعارفنا، فكانت ساعة ميلادى ويقظة قلبى، وقرأت الجزء الثانى لأجد

---

(١) من أخ مصرى طبيب.

كلمات من رسالتى إليك فجرت الدموع من عينى مرة أخرى. تذوقت كل كلمة فيها على لسانى ومن صميم قلبى وتجولت بين معانى الكلمات كما ترفرف النحلة على الزهور تمتص رحيقها، فكانت كلماتك الصادقة غذاء لقلبى وإنعاشًا لروحي، تعبيرات جميلة وأسلوب عذب.

أبى الحبيب.. قد يتعب الإنسان حتى يصل إلى الإرهاق الشديد، ثم يلتقى بمن يحب من إخوانه فتمسح نظراته وكلماته تلك المعاناة وتذيب هذا العناء، وهكذا كان اللقاء والحديث وكانت الرحلة والسياحة وكانت الكتابة من العوامل التى تخفف وطأة متاعب الحياة، فلا أستطيع أن أعبر عن مدى سعادتى وأنا أسطر إليك خطابى، فمنذ قليل كنت فى غاية الإرهاق والآن أنا فى غاية السعادة.

* * *

الرسالة الثالثة والثلاثون(١)

والدى الحبيب :

فقد قرأت رسالتك وتأملتها مليا وقد سكنت قلبى دفئًا وأنسًا وأضافت إلى فهمى مفاهيم جديدة فجزاك الله خير الجزاء.. وقد خجلت من نفسى أيما خجل عندما وجدت هذا الاهتمام الذى لا أستحقه وهذا الإصرار على رؤيتى ولقائى وأنا أقابلك بالإعراض والإدبار. فكنت كالابن العاق الذى قاطع أباه، وأحسست فى قلبى جفافا وقسوة تجاهك وهذا يصفنى به الأخ (...) بأنى جاف العاطفة.

أخى الكريم.. لقد وجدت فيك نموذج الأخ الكبير الذى تسمع عنه ولا تراه، وأعجبت بخلقك المتواضع وبساطتك اللطيفة مع إخوانك وكم أود لو اندرجت هذه الصفة على بقية الإخوة لزادت الأواصر أكثر فأكثر.

أخى الكريم .. أصارحك أنى فى بداية الأمر ومن أول لقاء معك

---

(١) من اخ كريم من سوريا.

عندما وجدت منك هذا الاهتمام بى، تساءلت فى نفسى: هل هذا الاهتمام وهذه العواطف هى فقط لمساعدتك فى أداء مهمتك أم هى حقيقة! واعذرنى على هذه الخواطر فقد مررت بتجارب جعلتنى أشك فى حقيقة البسمة والكلمات الطيبة، وجعلتنى لا أفتح قلبى بسهولة حتى أستيقن من حقيقة ما يقابلنى به الشخص. وأنا أظنها صفة سلبية وأرجو زوالها مع الزمن. كما انتظر منك الرد ووصفة العلاج أطال الله فى بقائك.

* * *

الرسالة الرابعة والثلاثون[1]

أبي الحبيب :

منذ عدة أيام خَلَتْ ودعت قلبا عزيزًا عليَّ جد عزيز وكان وداعًا من نوع خاص وعجيب!! لقد كان وداعًا لا لقاء بعده.. عاش معى مع كل نبضة سعادة وفرحًا.. وشاركنى فى كل نبضة ألم وأسى.. كان منبع عاطفتى وأريجها ومصدر أحاسيسها وأزاهيرها. منه انبثقت عاطفة صادقة.. ومشاعر أمينة وأحاسيس حارة إلا أن حوادث الدهر أتعبته وآلمته، ومستنقعات الغيرة وحب الملكية الآثمة عكرت صفوه وقتلت صدق عاطفته، وكتمت حرارة حبه ووجده. فلا أشواق يزودنى بها ولا أحاسيس يمدنى بحيويتها، وشرع يلفظ أنفاسه الأخيرة، وهو ينزف ألم الأيام ومكابدة الليالى، ثم فقدته فلم أجده.. إنه قلبى. حقًا لقد فقد عنصر التجديد فلم يعد قادراً على مواصلة السير فى هذا الطريق.

أسمعت عن فتى عاش فترة من الزمن بلا قلب؟ بلا أحاسيس وأشواق.. من طبعى أن أحب التجديد والتغيير.. لا أحب أن أعتاد

---

(١) من أخ فلسطينى طالب بالصف الثالث الثانوى.

على شيء فأفقد لذته وعنصر جماله.

وطفقت أبحث عن عالم حب في الله جديد - وأخذت أبحث عن قلب نقي طاهر وأحاسيس ربانية عفة.. أتدرى لماذا يا أبى الحبيب؟ حتى عندما أخاطبك (بأبى الحبيب) أكون مدركًا لمعنى هاتين الكلمتين، حتى أخرجهما بصدق وشوق وحنين. وما احتجابى واحتجاب رسائلى عنك إلا لفقدان هذه الأمور.

* * *

الرسالة الخامسة والثلاثون(١)

والدى الحبيب:

لقد زرعت فى قلبى بذوراً أثمرت وستبقى إن شاء الله ما حييت مثمرة وإن تلك الأيام التى قضيتها معنا فى النمسا قد أعادت إلىَّ ما كنت فقدته بعد خروجى من سوريا. إن ما أجده من معاملتك للإخوة ومراعاة لشعورهم والسؤال عنهم أجده بالمقارنة لحالنا شيئًا جديداً.. ولكن أحزن عندما أرى هذا النموذج المثالى وأرى بعض الإخوة الذين تؤتى الجماعة من قبلهم بتصرفاتهم وسلوكهم ولا أعرف كيف أتصرف معهم.

فهذه الرابطة وما تعطيه من شحنات ربانية تدفعنى مراحل وخطوات إلى الإمام، ومن حين لآخر أعاود قراءة رسائلك التى عندى فأستشعر ما بها من معان عميقة صادقة، وكل مرة أكتشف معانى أخرى وتتضح لى الرؤية من خلال تلك المعانى فقد استشعرت بحق حين قلت لى: إن الفرق بين الداعية ورجل الدعوة كبير فكن رجل دعوة. وكذلك عرفت منك كيف يسعى الأخ إلى قلب أخيه بكل

---

(١) من أخ سورى طالب جامعى.

مشاعره وأحاسيسه، إنها معان لا يكسبها الإنسان إلا بالتجربة والعمل والأيام وهي وسيلة للعلم وكسب الخبرة.

والدى الحبيب.. لقد أحسست بعد اتصالك بالهاتف برغبة فى الكتابة إليك وقلت فى نفسى إن شاء الله غدا صباحًا أخط لك رسالة، ولكن الرابطة التى ربطتنى بها جعلتنى أحس فى أول النوم بصوتك وكلامك فقمت فى الحال وحررت لك هذه الكلمات.. فقد أخبرتك فى الرسالة الأولى أن قلبى فتح لكلامك دون إرادتى، فأجبتنى بأن ذلك سببه الصدق والإخلاص فى المحبة. فعرفت أن ذلك لا يتجلى إلا بالحب المتبادل بين الإخوان وفى إسعاد كل أخ للآخر، وذلك بعمل ما يحبه ويحرك إحساسه. فهل يمكن أن تتجلى هذه المحبة على حقيقتها بين أخوين لا يراعى أحدهما شعور الآخر؟ وللأسف أقول لك والدى إن الإخوة فى المركز الإسلامى لا يراعى أحدهم شعور الآخر، لذلك ضعفت الرابطة بينهم عن الواقع الإسلامى المطلوب منهم.

وحتى يعطى الإنسان كل طاقاته وحبه للدعوة والناس يجب عليه أن يشعر بهذه العاطفة مع باقى الإخوة، وكيف يشعر بذلك وغيره لا يراعى شعوره ولا يعطيه حقه من العاطفة والحب، وحتى هذا الشعور الجاف يقابل به بعض الزائرين الوافدين من خارج دائرة

المركز الإسلامى فى صورة معاملة جافة.. مع أن دعوتنا دعوة تربية وجذب لقلوب عامة الناس ونحن نقرأ فى كتاب الله تعالى: ﴿**وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾ [آل عمران: ١٥٩] ورسولنا ﷺ يقول: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه**».

لقد تأكد لى من خلال عملك ورسائلك ما قاله (فضيلة الأستاذ عب الفتاح أبو غدة) وكرر (أن الإسلام ذوق).

وختامًا إن عاطفة الأبوة التى حرمت منها فى هذه الغربة قد حصلت على أضعافها بعطفك وحنانك وإننى والله لأضعك فى مرتبة والدى.

* * *

الرسالة السادسة والثلاثون[1]

والدى وأخى فى الله

وصلتنى رسالتك الكريمة تفوح شذى ومحبة -كسابقتها- لا أدرى يا أخى ماذا أقول بعد ما قرأتها عدة مرات، إذا كنت تحتار كيف ترد على كلماتى، فكيف لا أحتار أنا أمام ما تكتبه لى من معانى الأخوة والحب.

كنت أظن أن هذه الأيام التى سأقضيها فى مدينة (كولونيا) فى ألمانيا سوف تمر كسابقتها ولكن شاء الله سبحانه وتعالى أن يرزق كل منا أخًا جديداً من حيث لا يدرى فالله تعالى يرزق من يشاء بغير حساب، ولا زلت أذكرك عندما كنت أنت والأخ على فى المطبخ ثم سألتنى عن اسمى بابتسامتك.. ثم عندما سألتنى ماذا أعمل. فقلت لك أعمل طالبًا فقلت عندها -يا طالب يا مطلوب- كثيرة هى المواقف التى تأبى مغادرة الذاكرة. إن لقائى بك وبالتالى التعارف الذى حدث وإن كان قصيراً فقد أحدث الكثير من التغيير من ناحيتى إن شاء الله نحو الأحسن، وأستطيع أن أقول لك إنك

(١) طالب فلسطيني بإحدى جامعات ألمانيا.

أفدتنى بدروس كثيرة أشكرك عليها . . فقد رأيت فيك ما ينبغى أن يكون عليه الداعية مع من يدعو من صفاء ومحبة وصراحة، ترى ما الذى كان مقدراً لو أنك لم ترسل لى الرسالة الأولى، لا شك أن الحالة كانت ستكون على غير ما هى عليه الآن ولكن الله قدر غير ذلك .

كذلك قد لاحظت من رسائلك أنك تستعمل التاريخ الهجرى، فقلت لنفسى : ما دامت الهجرة حدثًا إسلاميًا كبيراً غير تاريخ البشرية فلماذا لا تتخذه تاريخًا .

وأريد أن أقول بأنك وفقت بحمد الله فى رسائلك فكانت كلمات صادقة لها حرارتها، فكما كنت تخاطب فى رسائلك وكأنك فى مشهد حى، كذلك استمعنا لحديثك العذب النابض بالحياة فى « مدينة ميونخ » والذى أبى إلا اختراق حصون القلوب وفتح أبوابها بكل سرور لاستقبال هذا الفيض من الحرارة الروحية .

وقبل أن أختم رسالتى أود أن أخبرك بأن هناك أخا كريمًا من بلدى « اليامون » فى الضفة الغربية يدرس فى كلية الدعوة وأصول الدين فى مدينة « القدس » فقد كان عنده كتابك (حسن البنا مواقف فى الدعوة والتربية) وعندما رأيت الكتاب وعليه اسمك

أخبرته عن بعض الأشياء عنك ويبدو أن الشعلة قد جذبته، فالضوء فى الظلام يؤنس ويجذب وقد بعث برسالتين فيهما سلام لك وأرجو أن أكون قد بلغت الأمانة.

* * *

الرسالة السابعة والثلاثون(١)

أبى ومعلمى وحبيبى:

عندما تقابلنا عدة مرات كنت أنتعش بسماع صوتك وحديثك وفى المرة الأخيرة وعدتك بأن أكتب لك رسالة وها أنا أوفى لك لأننى أحبك فى الله حبا شديداً، لأنك من تلامذة الإمام حسن البنا. وها أنذا أقول لك رداً على ما قلته لى (أحبك الله الذى أحببتنى من أجله) وفى رسالتك لى عتاب لأننى قلت لك عندما سألتنى لماذا لا تتكلم؟ وأجبتك (أنك قد أحرجتنى) ما كنت أود أن أقولها لو أعلم أنك تأثرت كثيراً بهذه الكلمة، وأننى أعلن أننى كنت صامتا معك فهل تقبل أسفى!!

أبى ومعلمى وحبيبى.. إن الأخوة شىء عظيم ولولا الأخوة ما أحسست بلذة الحياة.. وإن ترابط القلوب بعضها ببعض شىء عظيم فى حياتك وإن الأخوة التى بيننا ليست أخوة زائفة، بدليل أننى عندما أكون وحدى أحس بضيق كبير وحزن فى قلبى ما لم

---

(١) من طالب بالصف الثانى الثانوى.

يكن معى أحد من الإخوة لدرجة أننى فى يوم من الأيام هربت من المدرسة وذهبت إلى مدرسة الفحاحيل الثانوية كى أرى بعض الشباب، هذه المعانى العظيمة التى نحس بها هى سر من أسرار سعادتنا.

ولقد تأثرت بحديثك عن الثلاثة الذين خلفوا عن رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك، حين ذهب كعب بن مالك - من الذين تخلفوا- إلى المسجد وكان فيه الرسول ﷺ، فكان كعب بن مالك يسارق رسول الله النظرة وكان الرسول ﷺ يبادله نفس الشعور دون حديث أو كلام!

هذه الكلمات كان لها تأثير كبير على نفسى، وكل هذا لأننى عرفت حقيقة الأخوة، وأنها ليست دروسًا تلقى، ولكنها أرواح وقلوب ومشاعر.. إننى آسف حيث كنت صامتًا معك - أتمنى أن أجلس معك بعض الوقت ومعذرة لتقصيرى، ومنذ اللحظة فتح الله قلبى لكل إخوانى.

أبى الحبيب.. لقد جلست معك عدة مرات، وفى مرة كنت ترانى ابتسم فتقول للإخوة إن الأخ (...) قد فقه.. ولقد حدث هذا معى بالفعل، إننى يومًا كنت أصلى فى المسجد وبعد الانتهاء

راقبت أحد الإخوة فابتسم لى وبادلته نفس الشعور فابتسمت له ثم صليت السنة وبعد الانتهاء لم أجد هذا الأخ ولكننى وجدته فى صلاة العشاء فقلت له: يا أخي لماذا لم تكلمنى ولم تصافحنى فقال لى: لقد فعلت ذلك- فقلت له: كيف؟ فقال لى: بنظرتى الأولى لك فكأنى كلمتك. فدهشت لقول هذا الأخ كيف وصل إلى هذا المستوى ولكنى أقول إنها دعوة حب وقلوب لا تقتصر على الأفكار والعقول.

* * *

الرسالة الثامنة والثلاثون[1]

الأخ الوالد :

إن هذه الرسالة هى أول رسالة منى إليك فأرجو من الله سبحانه وتعالى أن يشرح لى صدرى ويحلل عقدة من لسانى كى أعبر عما فى نفسى وما يجول فى خاطرى من حب صادق عميق تجاه أخى الحبيب حفظه الله .

إنى لم أعرف قيمة هذا الحب ولا معناه إلا فى ظل الإخوان الذين تعرفت عليهم فدخلوا قلبى وإليك قصتى فى هذه السطور.

فى أحد الأيام وكنت أتردد على مسجد (البيدان) فصليت العصر وخرجت وصليت المغرب وخرجت - وذلك بعد أن سمعت درسا من والدتى عن عقوبة من يترك الصلاة - وبعد صلاة العشاء وأنا خارج من المسجد ، فإذا بأحد الشباب يسلم ويتعرف علىَّ ثم يعرفنى على معظم الشباب فى المسجد . فصرت أتردد على المسجد لمدة طويلة وأزداد حبا لإخوانى على مر الأيام وأذهب مع الشباب فى زيارة للأخ الفاضل (. . .) وهناك أسمعه يتكلم عن دعوة الإخوان المسلمون! وهناك فى تلك اللحظة أندهش وأكاد أصعق . . فأنا إذن

---

(١) أخ فلسطينى طالب بالمدارس الثانوية .

مع شباب من الإخوان المسلمين - الإخوان المسلمين - الذين طالما سمعت عنهم من الأهل وغيرهم، فكنت أخاف منهم كما كان يخاف الناس، ولكنى تمالكت نفسى وصبرت على هذا الموقف وتمضى الأيام وأزداد حبًا لهؤلاء الإخوان الذين وجدت عندهم من الحب ما لم أجده فى أهلى وأسرتى.

وها أنذا اليوم أعتبر نفسى جزءًا منهم وهم فى نفسى وقلبى، وأصبحت أعتقد تمام الاعتقاد أن هذا الطريق هو الطريق الوحيد لسعادتنا وسعادة البشرية جميعًا، فيه نصرة الإسلام وعزته فأزداد تمسكًا بإخوانى وأمضى أدعو غيرى من التائهين الحيارى إلى هذا الطريق وأحزن عليهم إذا ابتعدوا عنه.

ولا زلت أذكر لقاءك الأول فى مسجد (العلبان) عند الشيخ أحمد القطان وجئت يومها معكم بالسيارة. لقد كانت كل نظرة، كل حركة، كل لمسة منك لها معنى ومقصد، وكل كلمة كنت أسمعها منك كانت تزيدنى ثباتًا وتدفعنى إلى العمل بجد ونشاط لقد حضرت لك بعض الزيارات فى الديوانيات.. فكنت أخرج من الدرس وأشعر أنى مقصر لأننى لم أدع غيرى ولم أدل غيرى على هذا الطريق كنت تقول لنا فيما تقول.. إنكم قد جئتم إلى هذه الدعوة بابتسامة وسلام ونظرة وكلمة طيبة، فلا تبخلوا بهذه المشاعر وتلك الأحاسيس فإنها وسائلنا إلى قلوب المسلمين.

* * *

الرسالة التاسعة والثلاثون(١)

أبى عباس :

أبى أكتب لك هذه الرسالة بعد ما غادرت بيتك يوم الجمعة فوصلت إلى منزلى متأخرًا أى فى حدود العاشرة مساءً، حيث فوجئت بالضرب على جسمى فى كل مكان، وأبى يسألنى عن سبب تأخيرى؟ وأنا أجيب إنى ذهبت عند شخص قد جاء من مكان بعيد وكنت أنتظره على شوق - ولم تعجبهم هذه الإجابة - فقالوا: لا زيارات ولا شباب مسجد فدمعت عيناى على ما أجد وألاقى، ولكن صدقنى إننى ما حزنت من ضرب أبى .. بل حزنت عندما تذكرتك وتذكرت الشباب وإلى متى سأظل بعيداً عنكم أيها الأحباب.

ولا أدرى إن كان هذا القلب الكبير الصغير سيسع هذا الحب كله أم لا؟ وكل ما حدث لى إنما يدل على مدى حبى لإخوانى وتعلقى وتمسكى بهم.

أبى عباس.. صحيح أننى ضربت من أبى .. ولكن كل هذا الألم

---

(١) أخ فلسطينى طالب بالثانوية.

زال وخف بعد ما تذكرت ابتسامتك الجميلة .

أبى .. ارجو أن لاتنسانى بالدعاء في السجود وبعد كل صلاة وأن أحصل على الدرجة التى أريدها وهى ٨٠٪ فى الثانوية العامة وذلك كى أرضى أبى وأمى وأهلى وأكون بعدها سعيداً وحراً .

يا حبيبى : كتبت هذه الرسالة لك والعين تدمع وهى تذكرك فلا تخش شيئًا فإنى سأظل ملتزمًا بهذه الجماعة الطيبة وهذه الدعوة الصالحة فى كل زمان ومكان وسأصبر الصبر الجميل .. (إنما الصبر عند الصدمة الأولى) .

* * *

الرسالة الأربعون

أستاذى وأخى الفاضل :

إننى لست من هواة المراسلة - بل إننى كما يعهدنى أهلى كسلان - والذى دعانى إلى مراسلتك هو حبى فى التعبير عن مشاعرى وعما فى قلبى من حب وتقدير لك، وإننى أجد نفسى وقلمى عاجزاً عن التعبير الجيد عن كل المعانى التى نبتت فى قلبى بعد قراءة كتابك (الدعوة إلى الله حب) .

ولكنى قلت لأكتب لأن الشيخ عباس واسع الصدر، قلبه كبير كما عرفته من خلال الكتاب، وهو يحبنى وسيستر علىّ أخطائى . . نعم إننى الآن واثق بأن هناك شخصا لا أعرفه ولم أره ولكنه يحبنى . رغم بعد المسافات وفارق السن وإننى أرجو الله أن يثبتنى على طريق الدعوة حتى أظل ضمن من تحبهم .

إننى استشعرت العاطفة الحارة القوية لكاتب كلمات وسطور كتاب « الدعوة إلى الله حب » التى كنت وأنا أطالعها أستشف قلبًا متدفقا بالعاطفة الجياشة والقلب الكبير لكل أخ فى الله على أى

أرض كانت، لمست روحًا شفافة وعرفت الأسلوب اللين الرقيق فى المخاطبة، ثم خرجت بتصور فيه شخصيتك من خلال قراءتى لكتابك، وإننى أعتبرها أمنية من أمنياتى وهى أن أرى شخصك الكريم وأن أحظى بسماع كلماتك العذبة عن قرب، إننا فى حاجة إلى هذه المعانى التى ذكرتها فى رسالتك، وإنى اعتقد أن من استقرت فى قلبه معانى الحب والأخوة فى الله كما ورد فى كتابك، فإن قلبه سوف لا يعرف الحقد والحسد والأنانية، وسيكون وجوده فى أى مكان رحمة بحيث يفيض قلبه عليهم بالود والحب والصدق والحنان، وما أحوجنا فى هذه الأيام لمثل هذه القلوب التى تجمع حولها النفوس وتشدها إلى الله تعالى.

أستاذى الفاضل - أريد أن أصارحك وأطرح عليك مشكلة تواجهنى هنا وأرجو منك الحل إن سمح وقتك، إذ أننى أرى بعض الإخوة لا يبادلنى نفس الشعور الأخوى الذى أبديه تجاههم، أزور البعض وأظهر لهم ما استطعت من محبة وود وتقرب ولكن لا يزورونني ولا أرى أنهم يتفاعلون معى كما أتفاعل معهم!! أحيانًا تراودنى فكرة أن أقاطعهم وأن أجافيهم حتى يشعروا بأن عليهم حقًا وواجبًا نحو أخيهم وأحيانا تراودنى أفكار أخرى سرعان ما أتخلى عنها.

فـلا أدرى هل السـبب والخلل فىَّ أم فـيـهـم، ولا أدرى مـا هو الأسلوب الناجح فى معالجة مثل هؤلاء الأخوة الفاترين، أرجو الإفادة وبارك الله فيكم.

* * *

الرسالة الواحدة والأربعون[1]

والدى الحبيب :

كان لى والد رحيم طيب القلب ، كان يصارع فى هذه الدنيا من اجلنا، وكنت أحبه، ما أحببت أحدا من الناس كما أحببته ، وقد توفاه الله ليلة جمعة من شهر رمضان، ولما قيل إنه قد مات، أحسست أن مسراتى قد ماتت لأنه تركنا ونحن فى أمس الحاجة إليه ، وقضيت بعده سنة وأنا ممزق القلب شارد النفس أعانى آلام الفراق وقسوة الشوق . وتخيلت أن الله سبحانه وتعالى قد كتب على الشقاء، وجاءتنى الكآبة سافرة الوجه وكان الصبح يطلع علىَّ صبحا فاترا وما أحسست قط أنى فى يوم جديد كنت أدعو الله وأتوسل إليه أن ينزل على غيثا من عدنه فتحيا به نفسى بعد موتها .

أقول ياوالدى. . إنى لما علمت بموت أبى . . استرجعت من فورى لهذه المصيبة . كما علمنا رسول الله ﷺ ، فإن من يسترجع

---

(١) من طالب فى كلية الهندسة من أبناء الإسكندرية .

يبدله الله خيرا مما فقد ولكنى لا أخفى عليك قد شاب نفسى ما شاب نفس أم سلمة رضى الله عنها من قبل عندما مات عنها زوجها واسترجعت وقالت فى نفسها: ومن خير من أبى سلمة؟ ولكنه لم يمض وقت طويل حتى كانت معرفتى بك، وقتها أدركت أنك ستكون بإذن الله عوضا عن أبى، ستكون لى أبا آخر..

* * *

الرسالة الثانية والأربعون(١)

الأب الفاضل

الحمد لله الذى عرفنى بك وجمعنى معك على الخير وأدعو الله ألا يفرق بيننا . ذلك التعارف الذى غيّر وسيغير من حياتى، إذ أن حياتى إلى وقت قريب كانت الدعوة فيها شيئا كماليا ، إذ كنت أعيش كى آكل وأعمل وأنام وإذا بقى وقت جعلته للصلاة، ولكن بعد أن تعرفت بكم وخرجت من رشيد ، آمنت وأيقنت أن الإنسان لم يخلق إلا للدعوة الإسلامية .

أيها الأب العطوف . . أنا أكتب إليك تلك الرسالة وبنفسى من الأشواق والعاطفة ما تمتلئ به نفسى، ولكنى ظللت أكتم عنك أشواقى وولعى برؤياك، وكنت أتقابل معك كثيرا فلا تساورنى نفسى مرة أن أخرج لك ما فى قلبى، فالحب لا يظهر إلا فى أوقات الفراق ، ولا أنسى يوم تعرفت عليك وكانت السماء ممطرة ملبدة

---

(١) من أخ كريم من أبناء مدينة رشيد ، طالب بالثانوية العامة .

بالغيوم وكانت الحجرة التى تقابلنا فيها مظلمة لانقطاع التيار، وعندما دخلت أنت الحجرة وجلست إلينا ما كنت لأرى منك إلا بريق العينين وبياض الشعر، هاتان العينان اللتان تضيئان فى الظلام، والنور ينبعث منهما سحرا يجذب إليه القلوب، وفى تلك الليلة ما رفعت عينىَّ عنك لحظة لأننى كنت أحس أن شيئا غريبا يشدنى إليك.

* * *

الرسالة الثالثة والأربعون

والدى الحبيب

أطلب من هذا القلم الأصم أن يكتب ولكنه يقف عاجزا أمام تلك الدموع ليرسم ما فى قلبى من عواصف عاطفية تجتاحنى بين الحين والآخر، فأطير فى شرود فى نعيم الحب فى الله تعالى ، ثم أحلق فى السماء عاليا لأبحث عن عش ألجأ إليه فلا أجد نفسى إلا وأنا بين قلوب إخوانى المسلمين حفظهم الله تعالى.

نعم تلك هى الساعة الوحيدة التى أشعر فيها بنفسي وبأننا نعيش وحدنا فى هذه الدنيا الغرور ، وأن غيرنا جسد بلا روح يأكل ويشرب وينام، لا يعى ولا يحس وبذلك يبقى فى غمرة وسبات عميق. إننا بحمد الله بأرواحنا نتقابل ونتناجى فى ظل إسلامنا العظيم الذى كرمنا وشرفنا وحبانا بهذه الأخوة الخارقة التى أنارت للبشرية طريقها إلى العلياء وتنال ما ترجوه من النعماء .

كم أشعر ياوالدى بفرح شديد يغمرنى وراحة نفسية تملأنى وصفاء ذهنى ينسينى هموم الدنيا .. كل ذلك عندما ألتقى بك

وأجلس الى جـوارك وأناجـيك بروحي وأخـاطبك بقلبى وعـينى ، فأتركك وقد شحنتنى بذلك الحماس الإيمانى الذى يكفينى لمدة حـتى ألقـاك مـرة أخـرى، ونبض كلمـاتك ترن فى أذنى تذكـرنى وترشـدنى إلى كل خـيـر، فـأذكـرك بكل خـيـر وأدعـو الله لك بدوام الصـحة والعافية كى تبـقى لنا « أترجـة » تمدنا بطعم الإيـمان وتنعشنا برائحتها الزكية التى تملأ جونا بالحب والرحـمة والأخوة .

* * *

الرسالة الرابعة والأربعون(١)

الأخ والأستاذ:

بالأمس سعدت بتسلم رسالتكم الكريمة.. وردا على رسالتكم. أحب أن أؤكد أن زيارتى لشخصكم الكريم أمر لا أستحق عليه الشكر لأنه واجب ولمسة وفاء نحو أخ فاضل له فى قلوب كل من عرفوه مكان وحب كبير، إنك بذلت الكثير نحونا حينما كنا صغارا لا نتجاوز الرابعة عشرة من العمر وغرست فينا من الأخلاق الفاضلة التى نعتز بها، ومن أبرز ما ركزت آنذاك رابطة الحب فى الله وكيف أنها ضرورية جدا فى المجتمع المسلم الذى أراده الله أن يكون متلاحما وأن يكون كالجسد الواحد، وما أظن أن مثلى فى حاجة إلى إيضاح لهذه العاطفة الإسلامية.. إن أى مدقق فى فهم روح الإسلام العظيم يستطيع دون عناء أن يدرك أن وحدة الجماعة أمر يسبق غيره من الأهمية، وما أظن أن هناك جماعة تتقدم إلا على أساس الحب. فالجماعة غير المتحابة لايمكن أن تقوى على مواجهة الصعاب.

---

(١) من أستاذ دكتور مصرى يعمل بإحدى ولايات أمريكا.

أقول ذلك عرفانا لعملاق الجيل الإمام الشهيد حسن البنا الذى حقق رابطة الحب فى الله وجعلها حية بين الناس يعيشونها فى كل لحظة من حياتهم اليومية، ولم يقتصر على بيانها بالكتابة أو الخطابة، وكوّن بذلك جيلا من المسلمين المتماسكين الذين أصبح اسمهم فى كل مكان على هذه الأرض.. تلك هى روح الإمام الشهيد التى قل من يدركها فى أيامنا هذه.. فانفرط العقد وتباعد الإخوة وأصبح لقاؤهم عزيزا وتزاورهم نادرا، إلا فى حالات المجاملة التى هى إلى الدبلوماسية أقرب منها إلى الإخوة الصادقة، وانشغل أكثرنا بحياته الخاصة حتى أصبح لقاؤهم أصعب من لقاء كبار المسئولين أو كبار رجال الأعمال، فأصبحنا كمن يملك أجمل مصباح ولكن دون تيار كهربائى فهو لايضىء، فهو إلى المتاحف أنسب، يراه الزائرون جميلا ولايجدون له نورا. ومن هذا المنطلق أجد أنّ علىَّ التزاما بمحاولة زيارة أى أخ أعرفه فى أى بلد أزورها لعلى أُؤدى جزءا من واجب حتمه الشرع الحنيف، ثم بعد ذلك يا أستاذنا الفاضل تشكرنى على زيارتكم؟ إننى أنا الذى أشكرك على ما علمتنى من سالف الأيام الكثير عن الحب فى الله ورابطة الأخوة.

* * *

الرسالة الخامسة والأربعون (١)

أبى :

جزاك الله خيرا على الرسالة وعلى التشجيع للكتابة، ولكنى أقول لنفسى إننى ليس عندى كلام أقوله، ولكن إن شاء الله يفتح عليَّ.

إنى أكتب إليك هذه الرسالة وأنا فى الصف الثالث الثانوى حيث قرأت رسالتك العزيزة فى الصف أيضا لشدة حبى أن أقرأها . . فأرجو منك يا أبى إذا بعثت لى رسالة أن تكتب فيها نصائح لاحتياجى لها مع هذا المجتمع، وفى الصف أعامل الطلاب كأنى منهم ومعهم، وفى أحد الأيام سألنى أحدهم إذا كنت من الإخوان أم لا؟ فقلت له: اتق الله ، ثم جاء أحد الطلاب وقال له: إن سليمان ليس من الإخوان حقيقة . . ولكنى لا أدرى هل أنا أسير نحو المعاملة الجيدة المطلوبة أم لا؟ لأنى أمزح مع الطلبة وأضحك معهم كثيرا . . ولكنه جاء ببعض النتيجة حيث أصبح طالبان يصليان أحدهما سورى والآخر لبنانى.

---

(١) من طالب فلسطيني بالصف الثالث الثانوى .

وأنا معى واحد خارج الصف هو الصف الأول الثانوى وكان طول عمره يسير مع فئة فاسدة، ولكنى أملت فيه الخير فتعرفت عليه فانجذب نحوى ولله الحمد ، ولكنه بقى مرتبطا قليلا معهم، لأنه ليس من الممكن أن يتحول شخص فى يوم وليلة ولكن أحواله تحسنت جدا بفضل الشباب وصفاتهم الجميلة، أصبح يصلى العشاء فقط - وأريد أن أربطه بالمسجد فكيف؟

أرجو منك إذا كتبت لى أيضا أن تتكلم عن قصة المرشد العام الإمام الشهيد حسن البنا وغيرهم ممن لهم الفضل على الأمة الإسلامية، وأنا والحمد لله أسلوبى ليس معقدا فى الكتابة وهذا من فضل ربى، وأنا لا أقدر أن أتصل بك تليفونيا فى ألمانيا، لأن أهلى سوف يسألوننى عن هذا الذى تعرفه فى ألمانيا، ولكن إن شاء الله أحاول أن أتصل بك من عند أحد الشباب .

* * *

الرسالة السادسة والأربعون

والدى الحبيب:

كم كان بودى أن أسعد برؤيتك وأستمع إلى حديثك العذب، فحتى هذه اللحظة أنا غير متأكد من مشاهدتك، فأرجو أن تكون هذه الرسالة لتعوض ولو بعض الشئ عن هذا اللقاء.

قبل أن يمن الله علىَّ بما أنا فيه الآن كنت تائها تماما عن هذا الطريق الطيب. كنت أعتقد أننى قد فهمت الدين الفهم الكامل وأننى قد أديت ما علىَّ من حقوق تجاه الله سبحانه وتعالى، ولكن مع هذا كنت أشعر فى كثير من الأحيان بالضيق فى نفسى لدرجة أننى أكاد أنفجر مما أنا فيه، أفكر فى كل ما حولى غير راض عن نفسى أبدا، أصحابى الذين يعتبرون أصدقاء بمعنى الكلمة كانوا لا يتعدون شخصا واحدا أو شخصين.

ولكن بعد أن هديت لهذه الدعوة المباركة تغيرت حياتى، بعد أن كنت لا أجد من أثق فيه وجدت الكثير من الأحباب. أقولها لك يا أخى الحبيب هذا الكلام الذى لم أقله بهذه الصراحة ربما فقط

لأبى، أقول لأنى وجدت فيك الصدر والقلب الكبير الذى يستطيع احتمال وفهم ما أقول، لأننى أشعر بقرب كبير نحوك .. فمنذ أول لقاء عندما قال لى أحد الإخوة: تعال لتسلم على الحاج؟ قلت فى نفسى وأنا أرى الجميع يتحدث عنك بحب قوى: من هذا الحاج الذى يحظي بكل هذا الاحترام والحب؟ وصرت تواقا لمصافحتك ورؤيتك. وبعد أن رأيتك وتحدثت معك قليلا أصبحت دائما أحاول الإنصات لما تقول وأحاول أن أراك، وبعد أن وصلتنى رسالتك التى لم أكن أبداً أتوقع استلام واحدة مثلها، فرحت كثيرا وتمسكت أكثر بطريقى من خلال رسالتك أيها العزيز، رأيت كأنك داخل نفسى، وبدأت فى تطبيق وصيتك فمشكلتى هى عدم مقدرتى على حفظ الآيات من القرآن الكريم. فأنا أنساها ولكن الآن أحاول جاهدا والله الموفق، وبالنسبة لعدم تحدثى أثناء المجالس ربما لأنى تعودت على ذلك من الصغر. ولكنى بإذن الله سوف أتخلص من كل ذلك .

* * *

الرسالة السابعة والأربعون

والدى الحبيب :

قبل شهر تقريبا قرأت كتابا لك بعنوان (من المذبحة إلى ساحة الدعوة)، من غير مجاملة كنت أقرأ كل كلمة وأحس وأعيش معك روحا وكنت أتخيل وأسمع صوتك الحنون فى أذنى كأنك تروى لى ما فى الكتاب بنفسك الزكية، ولا أستطيع أن أعبر عن شعورى فى هذه الورقة.. ولله الحمد قد استفدت من مواقف كثيرة تعرضت لها أنت وذكرتها فى هذا الكتيب وقد نصحت الأخ أبا يونس أن يقرأه كى يجلب نفس الاستفادة بإذن الله تعالى.

والدى الحبيب : عندما التقينا لأول مرة قلت لنا : (أنتم أنانيون) وفى كل مرة كنت تكرر هذه الكلمة، كنت تقول نفس الوجوه - نفس الأشخاص، وكل مرة تدعونى لتناول طعام الغداء، أجد نفس الأشخاص، أنتم أنانيون !! أنتم أنانيون !! .. كانت هذه الكلمة تعذبنى كثيرا، وكانت تدور فى ذهنى وعقلى وقلبى فترة طويلة من الزمن .. كنت أقول مثلا نحن أنانيون ومقصرون ، بل كانت

تحطمنى وتمزق قلبى مرارا وكنت أستهين بنفسى كلها .. وكنت أقول لابد من الحركة واكتساب ناس آخرين للإسلام .. ولله الحمد تنبهنا بعد ذلك فكنا فى كل حفل غداء نوجه الدعوة إلى أشخاص جدد يجلسون معنا يستمعون إلى أحاديثنا التى كانت شديدة التأثير فى نفوسهم، وتكونت من العبارة (أنتم أنانيون) شحنة إيمانية ربانية .

* * *

الرسالة الثامنة والأربعون (١)

عمي العزيز :

أبدأ جوابى على كتابك الذي أعجبنى كثيرا والذى قرأته بقلبى فدخله ، وأوجد هناك مكانا كبيرا للحب لجيمع الأخوة المسلمين ولنبينا محمد ﷺ ، ولما أمر به من الدعوة وأن نتبع طريقه المستقيم الذى رسمه لنا، فأشكرك يا أخى على هذا كله وجزاك الله خيرا كثيرا عنى وعن كل من قرأ ذلك الكتاب .

أريد أن أبدأ هذا الجواب من البداية الأولى، فكانت تلك الهداية في يوم لقيتك فى المركز الإسلامى كنت فى المكتبة، فجئتنى وبدأت تتكلم معى، قلت لى : إنك تحبنى فى الله ، فسألتنى هل أحبك أنا أيضا ، فقلت : نعما نعم كنت أحبك وأحب جميع المسلمين، ولكن هذا الحب لم يكن حبا حقيقيا صحيحا، فأنا كنت لا أعرف

---

(١) صاحب هذه الرسالة شاب من المغرب العربى فى الخامسة عشرة من عمره طالب بمدرسة ألمانية فى مدينة فرانكفورت، ذكى، متدين، وشغوف بالعمل للإسلام .

حقيقة الحب فى الله تعالى، إنما أسمع عنه فقط، فالحمد لله العلى القدير أن عرفنى بك يا عمى يا حبيبى الكبير، وكنت ألاقيك وتعمل معنا لقاءات ولكن ذلك كله كان شيئًا طبيعيا. ولم أكن أحب لقاءك أو لقاء الإخوة الآخرين كما ينبغى . إنما كنت أظن أن لقاء أخ كما يكون لقاء أى إنسان، إذا لقيتك يكون جيدا وإذا لم ألقك يكون جيدا أيضا، هكذا كنت عند اللقاءات الأولى ثم مرت الأيام، بدأت تدخل قلبى دخولا صحيحا. ولما سافرت إلى الكويت ولم أرك وقتا طويلا شعرت باشتياق نفسى لرؤيتك، فبدأ حبك يزداد. ومع كل أسبوع أذهب إلى المركز الإسلامى فأسأل عنك، وبعد عودتك من هناك أهديتنى كتابك (الدعوة إلى الله حب) ومعه كتاب (من المذبحة إلى ساحة الدعوة) ففرحت بهما وأردت أن أقرأهما، ولكن لما نظرت فيهما لم أفهم الجمل الأولى. فتكاسلت عن قراءتهما .. حتى كان ذات يوم حاولت من جديد وبعد قليل وجدت أن الكتاب جيد الفهم وبدأ قلبى يتذوقه حتى أكملت قراءته .. ولم أكن أستطيع أن أرده إلى مكانه حتى أكملته بعد الثانية عشرة ليلا. ولقد أعجبنى هذا الكتاب وكان من أحسن ما قرأت وهذا الكتاب وتلك الأفكار التى خرجت من قلبك ودخلت فى قلبى وتفكيرى وعملى ونيتى التى أخرج بها كل صباح إلى

المدرسة ، فقلبى دخله الحب فى الله ووجد هناك مكانا كبيرا . .
وتفكيرى بدأ يدور عن كيفية الدعوة وعملى رجع خالصا لله
وبدأت فى تأسيس هذه الدعوة . . وأما نيتى التى أخرج بها إلى
المدرسة هى أن أدعو هؤلاء الألمان الذى يعيشون على فطرتهم إلى
دين الإسلام إلى هذا الطريق المستقيم . . أريد أن يكونوا كلهم
مسلمين .

وأرجع إلى كتابك يا عمى المحترم لما أكملته كنت قريبا من
البكاء، وفى تلك الليلة، لم أنم، قضيت بعض الوقت أفكر فى
حقيقة إيمانى، وفى حقيقة حبى لله وللرسول وللمؤمنين فوجدت
أن إيمانى ضعيف جدا بالقياس إلى إيمان الصحابة ووجدت أن حبى
لله وللرسول أيضا ضعيف جدا إذا ذكرت قصة الرسول ﷺ فى
الطائف .

وأخيرا يا أستاذى لى عليك ملاحظة، فلقد جاوبتك على كتابك
فجاوبنى أنت على سؤالى، لماذا لا تزور كل الإخوة فى فرانكفورت،
إننى لم أرك فى أى مسجد قط إلا فى هذا المركز وأنت تذهب إلى
دول آخرى خارج ألمانيا وتترك الإخوة القريبين. زرهم يا عمى، وإن
كانوا على غير الذى أنت عليه ، فعظهم وتفاهم معهم .

الـــرد

ابنى الحبيب :

بعد أن تسلمت خطابك الرقيق الذى يحمل أنبل المشاعر وأرق العواطف ذهبت إلى المنزل وبعد أن فرغت من كل ما حولى، أخذت أقرأ تلك الكلمات الصافية الصادقة قرأتها بقلبى ذهلت حين رأيتك تتحدث بكل شعورك الذى كشفت عنه بكل صدق، الصدق الذى أراك تتمسك به فى أقوالك وأعمالك.

وصدقنى أن تلك الأخلاق الطيبة هى التى جذبتنا إليك وهى التى شرحت صدرى نحوك حتى سعيت إلى قلبك بهواتف قلبى وتطلعات الأمل الكبير فى مستقبل أيامك لخدمة هذا الإسلام العظيم .

لقد قرأت كلماتك بشغف كما يمتص الإنسان رحيق الحياة وينبض القلب بالرضا والسعادة، عجبت كيف كنت تنظر إلى عموم الناس نظرة واحدة، حتى إذا نبض قلبك واهتزت مشاعرك والتهبت عواطفك أدركت*أن لك رسالة وعليك واجبات للوفاء بحق هذا

الدين فى هذا المجتمع، عجبت لك فى مثل سنك هذا المبارك كيف توصلت إلى هذه المعانى لولا فضل الله تعالى عليك.

يا محمد: إنك بانتسابك إلى هذه الأسرة الكريمة وما أشربته من النبع الإسلامى الصافى، كل هذا قد غذى هذه البذرة الصالحة وأثمر تلك التربية الناجحة، كنت أتحدث إليك وأنا شديد الاهتمام بما تقول، أفكر فى كل كلمة تقولها باللغة العربية الفصحى فأشعر بالسعادة والفرح، وأتمنى لو أن كل مسلم صنع مثل ما تصنع. ورغم أن وقتى لا يتسع للجلوس معك طويلا إلا أن كلماتك التى أسمعها تبقى حية ندية تعيش معى حتى ألقاك.

كما أدركت شيئا هو فى الحقيقة موجود فى أعماق الإنسان، ولكن لا يجد من يبحث عنه أو من يكتشف أعماقه، فلابد للمسلم الداعية الذى يوفقه الله تعالى أن يغوص فى أعماق تلك القلوب ليستخرج خيرها وبرها. وأنا حين أكتب هذه المعانى إنما أكتبها لكل من أحبه فهى مقصودة بذاتها لذات من أحب على منوال من أحب من إخوانى ، ولما كنت لا أستطيع أن أحدثك بكل ما فى قلبى فقد أهديت لك رسالة «الدعوة إلى الله حب» كى تعيش معها وتعيش معك.

والحقيقة الحلوة التى أسعدتنى بها أنك قرأت الكتاب بفهم ووعى وتذوق، ولقد لمست أثر ذلك فى تعبيراتك وكلمات خطابك، وتعبيرات سوف أسجلها حبا وتقديرا لك . وودت لو سمحت لى أن يقرأ رسالتك هذه أمثالك من الشباب ليكون ذلك من الدوافع والتشجيع على الكتابة. فإن رسالتك لها أثر كبير فى نفسى وليس هذا من باب المجاملة . ولكنى أستطيع أن أعطيها لأى إنسان ليقرر تلك الحقيقة الرائعة.

وليس أعجب من أن يكتب مثل ذلك« فتى » فى سن الخامسة عشرة من عمره، لا يجيد الكتابة باللغة العربية إلا من وقت قريب ثم يلهمه الله تعالى تلك النفائس وتلك التعبيرات الرائعة.

ابنى الحبيب محمد :

قلت فى رسالتك « وهذا الكتاب وتلك الأفكار التى خرجت من قلبك ودخلت قلبى وذلك الحب العظيم الذى تعلمته من كتابك هذا. هذه الأشياء بدلت قلبى وتفكيرى وعملى ونيتى التى أخرج بها كل صباح إلى المدرسة، فقلبى دخله الحب فى الله ووجد هناك مكانا فسيحا. وتفكيرى بدأ يبحث عن كيفية الدعوة وعملى رجع خالصا لله وبدأت فى تأسيس هذه الدعوة العظيمة وأمنيتى أن أخرج

بها إلى المدرسة كى أدعو هؤلاء الألمان الذين يعيشون على فطرتهم إلى دين الإسلام إلى هذا الطريق المستقيم » قواك الله وأيدك بروح منه وأمد فى عمرك يافعاً نافعا لأمة الإسلام .

* * *

الرسالة التاسعة والأربعون[1]

أخى الحبيب:

كما قلت أرجو السماح بندائك «يا أخى» فمع وقار الشيب وفارق العمر إلا أننا نسير على درب واحد فنستفيد من تجارب السابقين، لنكون نعم اللاحقين.

لا أدرى لماذا يذهب كل الكلام الذى عندى عندما أجلس إليك، على العموم فللقلوب لغة أخرى لا ينطقها اللسان ولا تسمعها الآذان.

والآن اسمح لى أن أحدثك عن دخولى الدعوة، كان هذا الحدث المبارك من تاريخ حياتى سنة ١٩٨١ وإن لم أكن قد التزمت فعلا، فلقد تعرفت على الشباب قديما، إلا أننى كنت خائفا وكنت أظن أن وراءهم تنظيما معينا. على أننى بالرغم من كل هذا التخوف كنت أحس بنفسى مندفعا ومجذوبا نحوهم بدافع من داخلى،

---

(١) كاتب هذه الرسالة .. شاب فلسطيني طالب فى الثانوية العامة

كنت أفرح للقائهم بالرغم من خوفى منهم، فكان حقا شعورا غريبا، على أن ذلك كله ما لبث أن اختفى عندما أخذت أفهم ديننا بالوجهة الصحيحة . فانطلقت خلفهم وصرت معهم ذاتيا ودون حاجة للدفع فقد آمنت بالدعوة بعد اقتناع تام والحمد لله.

ومنذ بداية دخولى هذه الدعوة لاحظت أن أشياء كثيرة كانت أساسية عندى أصبحت ثانوية، وأشياء أخرى لم أكن أفكر فيها أصبحت أشياء أساسية وأهدافا، فقد كان كل همى الدراسة والشهادة، لا أهتم بمن حولى ، اللهم نفسى . كانت الصلاة عندى روتينيا والصيام عادة، فأصبحت لذتى فى الصلاة وجهادى فى الصوم، لم أكن أفكر مطلقاً فى إقامة شرع الله، وحتمية الدعوة إلى الله والآن أصبحت هذه هى حياتى.

أخى فى الله : هناك كثير من الناس أصحاب الأفق الضيق ينظرون لهذا الطريق على أنه طريق أوله تعب وآلام، وأوسطه ابتلاءات ومحن، وآخره غالبا ما يكون سجون ومشانق. لكننى أعتبر نظرات هؤلاء المساكين لم تتجاوز أفكارا قاصرة ، فإنى أعتبر هذا الطريق أوله هداية، وأوسطه فهم وإدراك للغاية وآخره رحمة ولقاء الأحبة محمد وصحبه ، ولولا هذا الطريق لعاشت البشرية فى ظلمات بعضها فوق بعض.

الرسالة الخمسون[1]

أخي عباس:

أما بعد فإني يا أخي عباس أقول لك « أخي » لأني أعتقد أن أسمى وأجمل رابطة بين الناس هي رابطة الأخوة في العقيدة، فأقول أني لم أصاحب في حياتي إنسانا أطيب قلبا وأخف نفساً وروحا منك.

فإن كلامك في مسمعي أحلى وأخف من غناء البلابل ولا تظن أن هذه مجاملة فإني لم أتعود معك مثل ذلك وأستغفر الله أن أفعل ، فإني أعتبره نوعا من النفاق، عافانا الله منه.

لقد بدأت كتابة رسالتي هذه في مدينة (هيدلبرج) واليوم أتم كتابتها في مدينة (آخن) حيث يقام مؤتمر إسلامي خاص بالألمان المسلمين باللغة الألمانية. وأنا مستغرق في الفترة الأخيرة في دراسة كتاب (رسائل الإمام الشهيد حسن البنا).

---

(١) من أحد الإخوة في الجزائر.

وأصدقك القول إني لم أقرأ لكاتب بعد أوضح فهما للإسلام في عصرنا الحاضر من الإمام حسن البنا .. إني - أخي - تأثرت بطريقتكم في الدعوة التي تعتمد على الحب والمشاعر ولا تقتصر على العقل فقط، فأنا أحاول في هذه الفترة أن أطبق هذه الطريقة وأستلهم من كتاب الشهيد حسن البنا ما يمكن أن أنتفع به وأنفع به غيري.

لهذا يا أخي عباس أعتقد أن نفسي لا تحتاج دفعاً للعمل في سبيل الله والدعوة إلى الله بقدر ما تحتاج إليه لأمثلة تطبيقية ووسائل عملية أستطيع أن أصلح بها نفسي أولا والناس المحيطين بي ثانيا، وأحتاج إلى فهم أوضح للإسلام، فانصحني أخي، كيف أزكي نفسي؟ كيف أجعل كل عمل خالصا لله تعالى؟، كيف أجعل نفسي تشفق من عذاب الله وتسخر مالديها من طاقة لنصرة دين الله وإعلاء كلمته ، ثم إن الدعوة إلى الله أخي تطلب جهدا كبيرا ووقتا كثيرا، فيجب على الداعية المسلم أن يكون على مستوى دعوته علما وفقها وسلوكا .. فلقد سخرت منذ أربع سنين خلت جهدي للدعوة للإسلام، وكان ذلك في « تونس» وعندما وصلت إلى البكالوريا، قلت يجب أن أسخر كل وقتي للدراسة وأخفف من التركيز الذي كنت أوليه لموضوع الدعوة، فكان من نتيجة ذلك أن

نامت – نسبيا – شعلة الإيمان التى أحملها ، لأن المدة طويلة قاربت سنة، ولكن الحمد لله لقد أتيت إلى ألمانيا وحضرت بعض المؤتمرات واستمعت إلى بعض الشخصيات، لقد استيقظت – والحمد لله – تلك الشعلة فى نفسى من جديد وسوف تعود كما كانت وأقوى فأعنِّى أخى على ذلك.

* * *

الرسالة الواحدة والخمسون[1]

أبى الحبيب :

إنه تساؤل فى القمة، تبادل عاطفة بين جيل يقدم شعلة الحق إلى الجيل اللاحق متمنيا الاستمرارية فى الدينونة للحق دون سواه ، والحق أولى أن يتبع، وأن يكون منهجا للحياة، إن الوقت يزاحمنا وإنه العامل الوحيد الذى لا يعلم أهميته إلا المسلم، وكيف لا وهو يتقدم بنا يوما بعد يوم، إن الأفكار أصبحت حقيقة تعاش، من كان يتصور أن هذه الدعوة سيكون لها صدى فى العالم كله؟ تتقدم عجلة الزمن ويتخلف الكثير رغم هذا التقدم؟! إنهم يعيشون فى وهم، فقدوا مبررات وجودهم .

أبى الكريم: قد تمر الأيام ويكشف الله تعالى رويداً عن غيبه فينصر الحق فصبر جميل والله المستعان، وهل خطر ببالك مرة يا أبى أن يزداد لك مولود فى الجزائر وأنت فى السجن؟ إن الطغاة أول من يلعنهم أولادهم . . أما أنت فقد رزقك الله ذرية صالحة، إذا سألتهم

(١) من أخ كريم من الإخوة فى تونس.

من تعبدون من بعدى؟ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك، إنها نعمة الدنيا قبل الآخرة.

أبى: إنك مطالب بتربيتى وإخوانى تربية إيمانية تضمن لى إن شاء الله السير على طريق الحق طريق الدعوة إلى الله .. إنى لو ذهبت سيحول ذلك بينى وبين الميراث ولا أستطيع أن آخذ حقى منك، والله وددت أن يكون عندى عنوان كل من كان ومازال، فأكتب لهم وأطالبهم بالميراث. وأنا أقول إن الكتب لها قيمتها ولكن الجملة المباشرة الخاصة لها أهميتها وتأثيرها وتقدم حقيقة، لأنها تخاطب معلوما.



الرسالة الثانية والخمسون(١)

أخي الكريم:

تحياتي إليكم مع وافر الشوق والرغبة الأكيدة لزيارتكم في رشيد مدينة الفضل واللطف وخفة الروح كما أتخيلها، ويكفي أن يكون من أبنائها الأبرار أبو معاذ الأخ الحبيب والأديب والأريب والذي نعمنا بقربه فترة مبهجة، كان فيها مصدر كل غبطة وسرور.

ولقد تسلمت رسالتك اللطيفة في هذا اليوم السابع والعشرين من شهر رمضان شهر القرآن والغفران في ليلة القدر وسعادة الدنيا والآخرة، وبادرت فورا لأحييك بل لأحيي فيك الوفاء والحب في الله الذي قرأناه في سجاياك وخصالك قبل أن نقرأه في كتبك التي أهديتها مشكورا ومأجورا، وجزاك الله في كل ذلك خير ما يجزي عبدا صالحا صابرا مجاهدا وسع قلبه الكبير طيوف جميع إخوانه فأوفاهم حقوقهم وصبر على تقصيرهم وإني لأرجو قبول أكرم التهاني والبركات بالعيد المبارك أعاده الله عليكم وعلى جميع أمة

---

(١) من أستاذ كبير من الإخوان في الأردن.

محمد ﷺ باليمن والخير، والوحدة والعزة والكرامة مع وافر سلامى وتحياتى إلى جميع أفراد الأسرة الكريمة وفى المقدمة إلى الأخت أم معاذ المؤمنة الصابرة المجاهدة التى بلاشك لها الفضل الأول فى رقة طبعك وحلاوة قولك وخفة روحك وكثرة وفائك ، حفظك الله لهم جميعا وللعمل الصالح الذى ترعاه واسلم لأخيك.

* * *

الرسالة الثالثة والخمسون

لقد كانت رسالتك يا أخى وأستاذى الحبيب شيئا عظيما بالنسبة لى وذلك لأنى شعرت من خلالها بعظم هذه الدعوة المباركة التى تجعل الأخ الكبير يعطف ويحنو ويحب الصغير وتجعل الصغير يحترم ويوقر ويحب الكبير، أشعرتنى بعظم نعمة الله علينا فى هذه الدعوة التى جعلت القلوب تقترب رغم بعد أجساد أصحابها وجعلت الأرواح تتلاقى وتعيش مع بعضها مع أن أميالا بعيدة تفرق بين أصحابها، فعلا يا أخى أبو معاذ الحبيب كانت رسالتك درسا من الدروس الثمينة التى أتلقاها على الطريق، درسا علمنى كيف يكون تواضع الأخ الكبير للأخ الصغير، حبه له وحرصه عليه. درسا زادنى يقينا على يقين بصدق الرسالة التى نحملها ونعيش من أجلها، ومما زاد وقع الكلام وجود صورتك التى جعلتنى وأنا أقرأ الكلمات كأن الأخ أبو معاذ يقرأها لى بصوته.

أسأل الله أن يديم علينا فضله ويرزقنا حبه وحب من يحبه وحب ما يقربنا لحبه.

الرسالة الرابعة والخمسون

الوالد الحبيب :

الحمد لله أنك تعرفنى جيدا وتعرف عنى إذا حاولت أن أعبر عن بعض عواطفى ومشاعرى، فالكلمة لا تطاوعنى لأكتب كل ما أشعر به. ولا حتى النطق حين أكون معكم ولا شك أننى الآن أعانى من هذه الحالة، ومع علمى التام بمشغولياتكم إلا أن ذلك لم يمنعكم من التفكير فيما سأفعل فى موضوع الالتحاق فى خدمة الجيش وعن جواز السفر وجهات العمل بعد التخرج، كل هذه الأسئلة بخصوصى وسط مهامكم لا شك أنه يريحنى جدا ، وذلك منذ أن غادرت مصر وتركتكم. وقد تعودت على معاملة كريمة منكم، وهذا من فضل الله تعالى على، أن جعلك أنت أيها الوالد الحبيب لتؤكد بيننا هذه الأخوة وتوجهها إلى الوجهة الربانية الخالصة، فلقد أحببتك حبا صادقا شاء الله عز وجل أن يترجم هذا الحب فى أيام قضيناها معا فى التعرف على هذه الدعوة المباركة، تأخذ بيدى وترشدنى وتنصحنى حتى مَنَّ الله تعالى على بالهداية وأسأله عز

وجل أن يرزقنى الإخلاص والثبات. ولا شك أيضا أيها الوالد أننى قد استفدت خبرة لا تقدر بثمن من التصاقى بك تلك الفترة المباركة، حتى أن كثيرا من الظروف والأحوال تحدث مطابقة كما كنت معكم وأتصرف فيها على هدى تصرفكم الصائب وهذا فضل من الله ونعمة.

* * *

الرسالة الخامسة والخمسون

أخي الأكبر :

وبعد . . فشكرا لله على رسالتك الفياضة الزاخرة، ومعذرة لتأخير بريدى لا إرادى – وإنى أبادر إلى التهنئة بالحج عامرة بمعانى الإيمان الصادق ونحن نستقبل شهر رجب الفرد – وما ذاك إلا لتطوف بى فى محاريب الأرض الطاهرة التى عشت فيها لحظة صفاء مع الله لم أذق حلاوتها من قبل، ومن عجب أنك كنت معى تشعرنى بالأنس وتفيض على من الحب والعطف مما هيأ لى فرصة الحديث عنك مع شاب صالح انجذبت إليه، وقلت لو كان الحاج مكانى لصادقه – خصوصا ونحن فى مسجد الرسول والنفوس مهيأة لتقبل كل معنى إيمانى. وبسرعة خاطفة كان العناق الأخوى الروحى بينى وبينه، كنت أشعر بأنك ترقب حركته وتباركها، كنت أحس بأن هذا الموقف ستعرفه، وصدق الحس. وكان اللقاء، وكانت لى جائزة ودليلا أكد لى فاعلية التيارات الروحية التى تقوم بعمليات لا تقع تحت دائرة الماديات فهى تنظم اللقاء وتختار مادة الحديث ثم تربط

بين قلوب الحاضرين والغائبين ، ولن يحتاج إلا إلى شئ من إخلاص القلب لله وتجرده تماما لدعوته. حمدت الله كثيرا على أنه لم يحرمنى لقاءك ونحن غرباء الأوطان غرباء بالدعوة . ونحن فى غربتنا أحوج ما نكون إلى هذا اللقاء عبر الأثير الروحى إن عز اللقاء جسما ومادة.

لقد كانت رسالتك لى الدعوة إلى الله حب زادا ونعم الزاد ومادة لحديث شجى بينى وبين الزملاء، وتجديدا لصلة بينى وبين الأبناء من الطلاب الذين أخذوا لأول مرة يراسلوننى من مدارسهم الثانوية، أو معاهدهم العلمية. واتخذت من نشاطك دافعا لنشاطى وتجرأ بعضهم لزيارتى اليوم وما كان يقدر لفارق السن على أقل تقدير، وعرفت أن العمل فى بيئات جديدة يتطلب استعدادات فريدة، وأساليب تتفق وعاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم وأن أقصر الطرق للوصول إلى قلوبهم، وتخطى هذه العقبات كلها هو الحب كما تعلمناه منك - نعلمناه منك صغارا ونتعلمه منك كبارا - تعلمناه سلوكا عمليا وتضحية وبذلا - تعلمناه عاطفة تسمو فى غير تكبر وتواضع فى غير تبذل، حبا تذوب معه كل الفوارق، ويبقى لكل مكانه ومنزلته .

الرسالة السادسة والخمسون(١)

والدى الفاضل:

لست أدرى من أين أبدأ فالأفكار محتشدة والمشاعر متأججة فى صدرى ولكنى أشعر بعجز شديد إذا ما حاولت أن أعبر لك عن مدى السعادة التى غمرتنى حين تسلمت رسالتك الرائعة.

ما شعرت يوما أنى جاهلة باللغة وعباراتها كما أشعر الآن وأنا أخط لحضرتك هذه الرسالة. تلك السعادة التى مست أعماق أعماقى وجعلت قلبى يخفق مع كل كلمة صادقة نابعة من القلب تضمنتها رسالتك .. لست أدرى كيف أشكرك على اهتمامك البالغ بتلميذة صغيرة جدا تتمنى أن تنهل من العلم الكثير، هذا الاهتمام يدينني لك بالعرفان وخالص التقدير .. أشكرك على أسلوبك الرائع الذى يأسر كل من يقرؤه ويستحوذ على اهتمامه .. لقد كانت أمنيتى يا والدى أن أحظى بأقل القليل من هذا الاهتمام فإذا بك تغمرنى به. أدعو لك بدوام الصحة والعافية حتى تظل دائما

(١) من طالبة فى الثانوية العامة فى مصر.

تملأ أرواحنا بهجة وتشع فى صدورنا نورا برقة مشاعرك التى تنسجها على سطور ورقاتك فنراها حقيقة ماثلة لأعيننا.

ربما يا والدى تتساءل عن سر انجذابى لكتابك وتعلقى به فأقول لك: إن هذا الكتاب ليس كأى كتاب يقرؤه المرء ثم يطوى صفحاته وتضيع معانيه مع مرور الوقت .. بل تظل معانيه عالقه بالذهن تأسر القلب وتنير البصر.

لقد قرأت بعض الكتب الإسلامية وأرجوك لا تغضب إذا قلت لك أنها لم تؤثر فى التأثير الجيد الذى يجعلنى أعيش معها بروحى وعقلى لأنه غالباً ما يكون أسلوب الكتابة جافا، ومهما كانت قيمة التعاليم التى تتضمنها هذه الكتب إلا أن طريقة عرضها تجعلها غير مفهومة .. ولكنى وجدت فى كتابك الفكر ممتزجاً بالعاطفة، كلمات تنبض بالعاطفة وتندى بالحب، الألفاظ الجزلة البراقة .. العرض الشائق الذى يؤثر سريعا فى نفس القارئ . المعانى العميقة جدا التى تصل إلى ذروتها وتجعلنا نعيش معها فى قمة شامخة تعلو السحاب، تسمع نداء الروح يعلو فوق كل الأصوات من حولنا ونحس بعالم نورانى شفاف يحيط بنا .. هذا هو العالم الذى نبغيه ياوالدى ، عالم النورانية والنقاء، عالم خال من الجفاف ينبض بالعاطفة رأيته متمثلا أمامى فى كلماتك وفى المفاهيم التى

استطعت بقدرة كلماتك التى تبثها فى مسامعنا وتغرسها فى قلوبنا فاستقرت فيها ولا سبيل لأن تجافينا بعد هذا الارتباط الحميم.

كان تعبيرك مرآة لعاطفتك وانعكست أمام هذه المرآة مشاعرى وعواطفى أنا الأخرى.. ووجدتنى أهتف لنفسى أخيرا وجدت ما كنت أبحث عنه، جزاك الله خيرا.

* * *

الرسالة السابعة والخمسون(١)

الوالد الفاضل:

وبعد أن قال جبريل عليه الصلاة والسلام للرسول ﷺ « ...واحبب من شئت فإنك مفارقه .. » فالفراق يا أخي الحبيب سنة من سنن الله بين خلقه فها أنت قد فارقت أخاك الحبيب أحمد حيدر رحمه الله تعالى منذ أيام خلت ومن قبله قد فارقت الإمام مجدد القرن الرابع عشر الهجرى الشهيد حسن البنا رحمه الله تعالى. واليوم تدور رحى الزمان علينا لنفارق أخا طالما أشرق فى نفوسنا وأرواحنا الأمل بنصر الله تعالى لدينه والعزة لجنده، سنفارق رجلا إذا جلسنا إله نسينا همومنا وأشغالنا. وكان شغلنا الشاغل هو عذوبة حديثه وخفة دمه وحرارة شوقه للقائنا عن كل هموم هذه الحياة عديمة الطعم بدون مجالسة أمثاله .

أخي الكريم .. لست أسرد كلامى هذا سردا أدبيا مجردا من المشاعر فأنت لك الفضل بعد الله سبحانه وتعالى - وكما حدثتنى

(١) من أخ كويتى طالب بالجامعة .

فى السيارة عندما كنا فى طريقنا إلى جمعية الإصلاح – سألتنى ما رأيك فى قيمة المشاعر والأحاسيس . . . .؟

قلت لك : أراها فى أسس الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى . . فهذه الكلمة التى صدرت منى قد اقتبستها من كلامك العذب الحلو والذى كانت الروح تسكن بسماع هذه الأنغام الإخوانية الصادقة الممزوجة بتجارب السنين وما مر عليك من سنين عشتها مع الإخوة الأوائل فى ظل هذه الدعوة المباركة .

* * *

الرسالة الثامنة والخمسون(1)

حضرة الأخ الفاضل عم الحاج:

خير ما أستهل به رسالتى إليكم مبادأتكم بالسلام . فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

طالما أسعدنى أن أستلم منك الرسالة تلو الرسالة، وأنا هنا أعترف بتقصيرى فى الكتابة ولكن والله ياعم ما أحببت هذا، ولا أدرى كيف مضت هذه الأيام حتى كبر هذا التقصير وتراكم. ماذكرت إلا رجاء العفو عما مضى، وإن شاء الله سأكتب لك منذ الآن مرارا وتكرارا.

لا أدرى كيف أعبر لك عن فرحتى ساعة قرأت رسالتك الأولى عندما كتبت لى «ابنى الحبيب» فهذا شرف كبير لى وفخر، وإنه لمن دواعى السرور عندى أن ينادينى أستاذ فاضل ومرب كريم بهذا الاسم وأنا أود أن أستزيد من رسائكم عم الحاج ولو علمتم قيمتها لدى

(1) من أخ طالب سورى.

وما تتركه فى نفسى من أثر طيب لأجبتم الرجاء. فهى الآن فى غربتنا هذه وما تحويه من أفكار دقيقة فى معانيها ورفيعة فى قيمتها وسموها . وقد نبهنى بعضها – على قلتها فى العدد – على أمور ما كنت أرى من داع إلى أن أفكر فيها ونبهتنى إلى أمور كنت غافلا عنها فجزاك الله خيرا.

لو تعلم عم الحاج حال الأخوة فى المقر لحظة أن تتصل بنا بالهاتف، لأيقنت أن هذه الحادثة روح يسرى بين الأخوة، ولو كنت بيننا لرأيت الفرحة فى وجوه الأخوة جميعهم أما يوم مجيئكم هنا فهو يوم عيد وسرور.

أما أخبارى فالحمد لله على خير ما يرام ولكن الشوق إلى الأخوة والأهل فى سوريا كبير والحمد لله الذى سن لنا الأخوة شرعا نسير عليه ونقفو أثره ولولا ذلك لكانت حياتنا هنا لا تطاق.

* * *

الرسالة التاسعة والخمسون

والدى الحبيب الحاج أبو معاذ :

إننى أشعر بالسعادة تغمر قلبى وبالفرحة تنبعث من حنايا روحى وحسبى عندما أمسك هذا القلم لأسطر لك كلمات تعبر عما يجول فى هذه النفس من عظيم حب لك أحمله وأحفظه لروحك، أعايشه صباح مساء لأنهل من جدوله العذب ولأرتوى من نبعه الصافى العطر، لقد زرعت فى قلبى هذا مشاعر غذت روحى فأحيتها من بعد موتها وأنعشتها من بعد ركودها، هذه المشاعر التى أضاءت ليل هذا القلب بنورها وأطفأت ناره ببردها، فأخذ ينبض بأحاسيس عفة صادقة ويحس بخلجات طاهرة عذبة - فيتحرك وسط هذا الركام وهذه الحياة الهامدة ليشق طريقه عبر صخورها وليجتاز خضمها وسط هديره وأمواجه العاتية، فنظر إلى هذه الدنيا وقد عريت من أثوابها الزائفة ومخاملها المرقشة الخادعة لتظهر على حقيقتها بكل ما فيها من شر أودى بأشرارها أو خير رفع من قدر أخيارها . فتلمس الطريق نحو غاية أسمى وهدف أعلى فما وجد

أعظم من تلك الغاية السماوية العظيمة ، إنه الإسلام ولا غير الإسلام .. والله أسأل أن يثبتك على هذا الدرب إلى أن تلقى الله وأنت كذلك .

ويعلم الله يا أخي الحبيب أني أحبك حبا عظيما وأعتز بك اعتزازا كبيرا. إنني متضايق من هذه النفس، إنها عاجزة تماما عن التعبير بما يجول بها ويصول . وإني أرى أننا لن نتفق عليه أبدا لأن هذا الحب الإيماني وهذا الشعور الفياض له عالم غير عالمنا ودنيا غير دنيانا تتخاطب فيها الأرواح وتتناجى القلوب وتتهامس المشاعر لتبوح كل منها بأسرارها وأخبارها ولكن أعلم أن حبى لك يفوق كل تصور ويسمو على كل إدراك بشرى .. إن هذا الوصف مجرد ذرة حب أصفها أو أحاول وصفها، إنها ذرة من مجرة (مجرة حب فى الله تعالى) إننى أشعر بالسعادة الآن أتدرى لماذا؟ لأنى أعتقد أننى أعطيتك بعض الذى تريد، بعض الذى يشرح صدرك ويريح نفسك وأنا حريص على ذلك أيما حرص .. وكل همى أن تسعد بنا لأن فى سعادتك سعادة لنا وفرحة تملأ قلوبنا .

والدى العزيز .. إن كنت أصيلا فى الحب فأنت الذى علمتنى أصالته وإن كنت عظيم المشاعر فلا يدانى مشاعرك مثلى، بل لا يدانى مشاعرك أحد، أنسيت أنك أنت أبو القلوب .

نعـم إن من ذاق طعـم الحب لا يرضى بـغـيــره بديلا .. للك الله ياوالدى الكريـم.

* * *

كلمـــة ختـــام

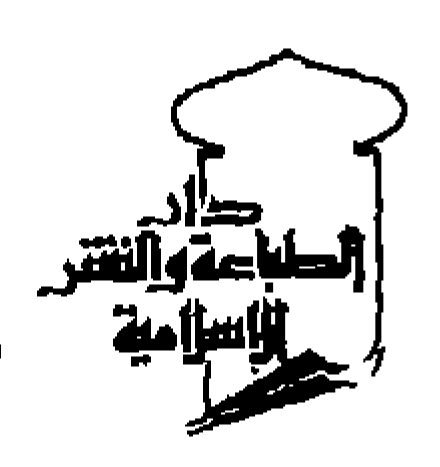
تقـدمت ببـعض هـذه الرسـائل إلى عـدد من كـبـار الإخـوان . . وتابعت أثرها عليهم فوجدت إشراقة الاستحسان على وجوههم . وسألونى عن مصدر تلك الرسائل؟ أجبت إنها رسائل من شباب الدعوة الإسلامية من أبناء هذا الجيل الجديد وأكثرهم من طلاب المدارس الثانوية، فرأيت الدهشة على محياهم.

فقلت لهم: إنكم قطعتم مراحل طويلة فى الدعوة. ولكنكم قطعتم الصلة بين أجيالها، وفيما بين الأجيال حدثت تغييرات وأحوال وأهوال، لم تتفاعل أحداثها ولم تندمج أطرافها وأجيالها، فواجب الدعوة على الإخوة القدامى الكبار أن ينزلوا إلى مستوى الإخوة الجدد بالمعايشة والمؤانسة ليرفعوهم بالتربية والتجربة إلى مستواهم المعاصر.

وهذه هى سبيل المؤمنين فى نقل الماضى للحاضر ، ونقل الحاضر للمستقبل. ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾.

[الكهف: ١٣]

رقم الإيداع : ٧٨٧٤ / ١٩٨٩ م



مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية

العاشر من رمضان المنطقة الصناعية ب ٢ - تليفاكس : ٣٦٣٣١٤ - ٣٦٢٣١٣

مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ش ابن هانيء الأندلسي ت : ٤٠٣٨١٣٧ - تليفاكس : ٤٠١٧٠٥٣

هذا الكتاب

« .. والأخ عباس السيسى ممن عايش الأستاذ البنا، ونهل من معينه العذب، فتجسدت فيه معانى هذه الدعوة فى صفاء ورواء، ولايكاد يجتمع مع أخ حتى يشعل فى قلبه نور الإخاء فى الله حارا متوقدا منيرا لأنه هو كذلك.

ولذلك فكثيرا ما يراسله إخوانه الشباب، وهو حريص أن يجيب على كل رسالة، ولو أن رسائله وإجاباته ورسائل المرسلين إليه جمعت فى مجلد لكان ذلك برهاناً على أن الإخاء فى الله يعطى أهله سعادة لاتعدلها سعادة.

وقد رأى أن يستخرج من بعض رسائله عبارات تصلح لأن يخاطب بها كل مسلم ليحرك فى قلبه عواطف
لتؤدى ثمارها فى هذه الأرض، فكانت هذه الرسا
بها إلى كل قلب.



دار التوزيع والنشر الإسـ

٨ ميدان السيدة زينب ت: ٣٩١١٩٦١ - ٣٩٠٠٥٧٢ ص ب ١٦٣٦